بصائر المعرفة القرآنية
قرآن يتلى لإنسانية به ترقى

أسس علم التفسير

من كتاب (الأساس والتنوير في أصول التفسير)

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية

الفصل الأول: أسس علم التفسير

الأساس الأول: تعريف علم التفسير:

ما تعريف (التفسير) لغة واصطلاحًا؟

فأما في اللغة: فالتفسير تفعيلٌ مأخوذٌ من المعاني الآتية:

١) التفسير (تفعيل) مأخوذ من الفَسْر، وهو البيان "فَسَر الشيءَ يفسِرُه، بالكسر، ويَفْسُرُه، بالضم، فَسْرًا وفَسَّرَهُ: أبانه"[(١)] فهو يستعمل في الكشف والإظهار للمعاني المعقولة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] أي أحسن بيانًا وتفصيلاً، وظهورًا في معناه"[(٢)]... و"الفَسْرُ: كشف المُغَطّى، والتَّفْسير كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكل"[(٣)].

---

(١) لسان العرب (٥/ ٥٥).

(٢) انظر: الكليات (ص: ٢٦٠).

(٣) لسان العرب (٥/ ٥٥).

٢) من التفسرة، وتعني الكشف الحسي، والتفسرة فهم القائف وهو من يقص الأثر، فيفهم لمن ترجع هذه الآثار، وإلى أين يصل[١].

٣) وقيل هو مقلوب كلمة (تسفير)، فكلمة: (فسر) أصلها (سفر)، كما في جبذ وجذب وصقع وصعق، ونقد ذلك الآلوسي ﷺ، فقال: "والقول بأنه مقلوب السفر مما لا يسفر له وجه"[٢] **مع أن لغة العرب زاخرة بالكلمات المقلوبة التي لها معنى واحد**...[٣].ومعناه أيضًا: الكشف. يقال: سَفَرَتِ المرأة عن وجهها، فهي سَافِرٌ، وأسْفَرَ وسفرَ الصبحُ يعني أضاء، وفي الحديث: «أسفروا بالفجر، فإنه أعظم للأجر»[٤]، والسفرُ إماطة الحجاب عن المستور سواء أكان إماطةً لحجاب الليل عن الدنيا أم لحجاب المرأة عن وجهها.

وأشار الراغب (٥٠٢هـ) ﷺ إلى تقارب معنى الفسر والسفر كتقارب لفظيهما، لكنه ميز بينهما بأن:

السفر: كشف الغطاء ويختص ذلك بالأعيان نحو: سفر العمامة عن الرأس، والخمار عن الوجه...والإسفار يختص باللون نحو: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ [المدثر: ٣٤] أي: أشرق لونه، وقال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ﴾ [عبس: ٣٨]، وأسْفَرَ وجهه حسنًا أشرق، والسفر هو: الكتاب الذي يسفر عن الحقائق وجمعه أسفار، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾[الجمعة:٥]، وقوله تعالى: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس:١٥-١٦] فهم الملائكة، والسفرة: جمع سافر ككاتب وكتبة، والسفير: الرسول بين القوم يكشف ويزيل ما بينهم من الوحشة، فهو فعيل في معنى فاعل والسفارة : الرسالة فالرسول والملائكة والكتب مشتركة في كونها سافرة عن القوم ما استبهم عليهم، أما الفسر فهو: إظهار المعنى المعقول[٥].

فإذا كان السفر: كشف الغطاء، والفسر: إظهار المعنى المعقول...فكلاهما فيه معنى الإيضاح والبيان، ولذا جعل ابن فارس جميع الأقوال تؤول إلى معنى واحد هو بيانِ شيءٍ وإيضاحِه[٦].

وأما في الاصطلاح: فقد اخْتُلِفَ في تعريف علم التفسير على أقوالٍ، نختار منها هذين التعريفين:

---

(١) ومن التفسرة نظر الطبيب إلى الدم مثلاً لكشف علله، فإذا قال: تفسرة ما خرج منك تشير إلى مرض كذا وكذا، فأراد بالتفسرة ما ينتج في نظر الطبيب، وهو ما يسمى اليوم التحليل المخبري، فأراد بالتفسرة ما ينتج في نظر الطبيب.

(٢) روح المعاني (١/ ٤).

(٣) انظر: أدب الكاتب (ص: ٣٨٢).

(٤) مختار الصحاح (١/ ٣٢٦)، والحديث رواه الترمذي (١٥٤)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني، ورواه أحمد (١٧٣١٨)، وصححه الأرناؤوط.

(٥) انظر: مفردات القرآن (٦٨٩/١)، و(٢/ ١١١٥)، وقد نقله الزركشي في البرهان(٢/ ١٤٨).

(٦) معجم مقاييس اللغة (١٥٦/٤).

التعريف الأول: تعريف أبي حيان (ت٧٤٥هـ) بأنه: «علمٌ يُبْحثُ فيه عن كيفيةِ النطقِ بألفاظِ القرآن الكريم، ومدلولاتِها، وأحكامِها الإفراديةِ والتركيبيةِ، ومعانيها التي تُحمَل عليها حالةَ التركيب، وتتمات ذلك»(١)، وكما ترى فإن أبا حيان ﷺ أتى في التعريف بالجنس، وهو قوله: "علمٌ"، ولكنه لم ي يلتزم بالحدود المنطقيةِ في التعريف، بل ذكر خمسة مجالات تشكل ماهية التفسير، وذلك يدل على خروجه عن التقليد؛ لأنه رأى أن التعريفَ يصبح واضحًا عند ذِكْرِ المجالات الكبرى لعلم التفسير، وهي التي تشكّل أمهاتِ موضوعات علم التفسير، وقد شرح بعد ذلك تعريفَه مبينًا معاني هذه الجمل التي ساقها، فلنعرض لذلك استفادة منه وتصرفًا فيما قاله:

(عِلْمٌ): هو جنس يشمل سائر العلوم.

(يُبْحَثُ فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن): دخل فيه علم الأداء القرآني من تجويد وقراءات، وتراه أدخل علم الأداء القرآني، وإن كان عن واقع التفسير هذه الأيام عنها بمعزل؛ ليبين لك أنه لا يُقبَل مُفَسِّرٌ لا يتقن أداء الألفاظ القرآنية.

(ومدلولاتِها): عنى به علم اللغة، فتدخل فيه المفردات العربية، ولا ينبغي لك أن تكتفيَ بما هو في المعاجم حتى يَحْتَفَّ بالسياق النصي (الذِّكْري)، والسياق الحالي (التاريخي)، وبذا يسهل عليك أن تفرق بين كلمة: النساء في قوله تعالى مجده: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وبين النسيء في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧].

(وأحكامِها الإفرادية): وتظهر من علم التصريف.

و(التركيبية) وهذا يشمل علم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع.

(ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب): ويشمل ذلك الحقيقة والمجاز، فقد يقتضي التركيب بظاهره شيئًا ويَصُدُّ عن تأويل النص به مانعٌ، فيكون مجازًا، ويمكن أن يضاف إلى ذلك: معانيها الفقهية، أو العقدية، أو التربوية، ويلحق به بحث قضايا الإعجاز القرآني من غير الإعجاز البياني البلاغي؛ فإنه مندرج فيما قبله.

(وتتمات ذلك): فيدخل فيه معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح الآيات، ومقاصد القرآن، ونحو ذلك.

التعريف الثاني: علمٌ يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالتُه على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية(٢)، وكما ترى فإن هذا التعريف الوجيز تَكَوَّن من جنسٍ، وثلاثة فصولٍ، وقد وفَّى بالمطلوب في تحديد شخصية هذا العلم.

---

(١) البحر المحيط (٦/١)، وهو التعريف الذي ارتضاه صاحب الكليات، ونقله بتمامه. انظر: الكليات (ص:٢٦٠)، وقد اكتفيت بذكر تعريف (التفسير)، ولم أتكلم على كلمة (علم) رغبة في الاختصار، وعدم تشتيت الذهن بأمرٍ نظريّ محض.

(٢) وهو تعريف ذكره محمد بن علي سلامة (ت١٣٦٢هـ) في منهج الفرقان في علوم القرآن (٦/٢)، ومثله محمد بن عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٦٧هـ) في مناهل العرفان (٣/٢).

وقولهم (بقدر الطاقة البشرية): "لبيان أنه لا يقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات، ولا عدم العلم بمراد الله في الواقع ونفس الأمر"[١].

ولذا قال في منظومة التفسير:

علم به يبحث عن أحوال كتابنا من جهة الإنزال[٢]

ونحوه.....

الأساس الثاني: موضوع علم التفسير:

ما موضوع علم التفسير؟ وكيف وصفه النورسي ﵀ ؟

موضوع علم التفسير القرآن الكريم، وهو كلام الله سبحانه الذي يمثل البيان الخاتَم الأخير الذي أنزله الله تعالى لإدارة حياة الناس في الأرض في جميع المجالات، فهو الدستور الذي تتفرع عنه كلُّ العلوم الإيمانية الاعتقادية والفقهية والسلوكية والتربوية واللغوية، وأورد هنا عبارةً ذهبيةً لبديع الزمان النورسي ﵀ في وصف القرآن الكريم إذ يقول: «هو الترجمةُ الأزلية لهذه الكائنات، ومُفسّرُ كتاب العالَم، وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة، وكذا هو خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية، وكذا هو مرب للعالم الإنساني، وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية»[٣].

ما تعريف القرآن الكريم؟

تعريف القرآن تعريفًا حدِّيًا:

بما أن علم (التفسير) لا تتعلق به هذه الكلمة (التفسير) مفردة بل يسمى (تفسير القرآن) فلا بد من تعريف القرآن الكريم، وقد تم تعريفه بالآتي: كلامُ الله المنقولُ إلينا بين دفتي المصحف نقلاً متواترًا للتعبد[٤].

وأنت تعلم أن الأركان الثلاثة الأولى تكفي في التعريف (كلام الله المنقول إلينا بين دفتي المصحف) أما ما بعدها فلزيادة الإيضاح.

وعلى الرغم من أن شروط (الحد) المذكورة عند المناطقة غير متوفرة فيما ذكرناه إلا أن هذا التعريف كافٍ لتحديد القرآن، فالمصحف لا يدخله ما ليس منه، وأما ما أضيف له مؤخرًا من ذكر للطبعة أو توضيح لعلامات الوقف والابتداء، فقد رسخ عند الصغير والكبير وتواتر أنها ليست من القرآن، ولا نجد مثل ذلك في الكتب الإلهية الأخرى حيث يختلط اجتهاد الكاتب

---

(١) أبجد العلوم (٢/ ١٧٢)، مناهل العرفان (٢/ ٥)، وانظر تعاريف أخرى في: التوقيف على مهمات التعاريف (ص:١٩٢).

(٢) منظومة التفسير (ص:١٥) للزمزمي مع شرحها التيسير.

(٣) إشارات الإعجاز (ص:٢٢).

(٤) هذا تصرفٌ في التعاريف التي ذكروها –رحمهم الله– انظر مثلاً: المستصفى من علم الأصول (١/ ١٠١)، التنقيح (١/ ٤٦)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (ص:٢٦)، وبعضهم أضاف: "على الأحرف السبعة"، وهذه الزيادة ليست دقيقة للاختلاف في مفهوم الآحرف، والاتفاق أن القرآن إنما يتحقق بواحدٍ منها

بكلمات الله على وجهٍ لا يمكن معه الجزم بمصدر الكلمة هل هو من الله أم من الكاتب إلا بتصديق القرآن المجيد.

قاعدة: لا بد من التفريق بين التواتر القرآني، والتواتر القرائي، والتواتر الحديثي:

ما الفرق بين التواتر القرآني والتواتر القرائي والتواتر الحديثي؟

التواتر القرآني نقل الأمة عن الأمة لجميع كلمات القرآن الكريم، فلا يمكن للمسلم الروسي مثلاً أن يقول للمسلم الموريتاني: عندي نسخة من المصحف تحتوي على كلمات أو أحرف لا توجد في نسختك، وهكذا بالنسبة لكل مسلمٍ في الشرق والغرب أداء وكتابة.

والتواتر القرائي: هو تواتر نقل الأحرف التي وقع فيها الخلاف بين القراء نقلاً عن النبي ﷺ، والتواتر هنا لمواضع الخلاف تواتر قرائي؛ لأنه نقل مصر عن مصر، فما عرف فيما بعد بقراءة نافع مثلاً: إن أرادوا بها الأحرف التي خالف فيها نافع بقية القراء، فحقيقتها نقل أهل المدينة عمن قبلهم إلى النبي ﷺ وهكذا بقية الأمصار، فهذا تواتر قرائي، ولذا كان ابن جرير الطبري رحمه الله مسددًا عندما كان يعزو القراءات إلى الأمصار لا إلى القراء[١].

وأما إنْ أريد بقراءة واحد من القراء المواضع المتفق عليها بين القراء، فهذه تنتمي إلى التواتر القرآني.

فإذا قرأنا ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ نستطيع أن نقرر أن كل الكلمات تعبر عن تواتر قرآني، لكننا إذا بحثنا السين أو الصاد من كلمة الصراط، فهذا تواتر قرائي.

وأما التواتر الحديثي فهو الذي عرفه جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) بقوله[٢]:

١٩٩-وَمَا رَوَاهُ عَدَدٌ جَمٌّ يَجِبْ ... إِحَالَةُ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الْكَذِبْ

٢٠٠ – فَالْمُتَوَاتِرُ، وَقَوْمٌ حَدَّدُوا ... بِعَشْرَةٍ، وَهْوَ لَدَيَّ أَجْوَدُ

٢٠١ – وَالْقَوْلُ بِاثْنَيْ عَشَرَ أَوْ ... يُحْكَى وَأَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَا

٢٠٢ – وَبَعْضُهُمْ قَدِ ادَّعَى فِيهِ ... وَبَعْضُهُمْ عِزَّتَهُ، وَهْوَ وَهَمْ

٢٠٣ – بَلِ الصَّوابِ أَنَّهُ كَثِيرُ ... وَفِيهِ لِي مُؤَلَّفٍ نَضِيرُ

٢٠٤ – خَمْسٌ وَسَبْعُونَ رَوَوْا"مَنْ ... وَمِنْهُمُ الْعَشْرَةُ ثُمَّ انْتَسَبَا

٢٠٥ – لَهَا حَدِيثُ "الرَّفْعِ لِلْيَدَيْنِ" ... وَ"الْحَوْضِ"وَ"الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ"

الأساس الثالث: حكم تَعَلُّم علم التفسير:

ما حكم تعلم علم التفسير؟ وكيف تطبق ذلك في حياتك؟

---

(١) انظر في تحقيق هذه المسألة: كتابي: المنهج النبوي في التعليم القرآني، وقد طبع مرارًا، وكتابي: بين التواتر القرآني والتواتر القرآئي.

(٢) ألفية السيوطي في علم الحديث (ص: ٢٥).

التفسير بالنسبة لتعلمه نوعان:

النوع الأول: تعلمه فرض عين: وهو ما لا عذر لأحدٍ بجهالته من المعنى العام المباشر للآيات المتعلقة بفروض الأعيان، كآيات التوحيد، والوضوء، والصلاة، والصيام، والحلال والحرام إجمالاً.

النوع الثاني: تعلمه فرض كفاية: وهو عدا ما سبق.

وقد أجمل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين ابن رسلان (ت ٨٤٤هـ) ﷺ في (صفوة الزبد) الواجبات العينية بقوله[١]:

والعلـــمُ أَســـنَى ســـائِرِ الأَعمـــالِ ... وَهْـــوُ دليـــلُ الخـــيرِ والإِفضَـــالِ

فَفَرضُـــهُ عِلْـــمُ صِـــفَاتِ الفَـــرْدِ ... مَـــعْ عِلْـــمِ مـــا يَحتاجُـــهُ الـــمُؤَدِّي

مِـــن فَـــرضِ ديـــنِ اللهِ في الـــدَّوامِ ... كـــالطُّهْرِ والصـــلاة والصـــيامِ

والبَيْـــعِ للمُحْتَـــاجِ للتَّبَـــايُعِ ... وظَـــاهِرِ الأَحكـــامِ في الصَّـــنَائِعِ

وعِلْـــمُ دَاءٍ للقلـــوبِ مُفْسِـــدِ ... كالعُجْـــبِ والكِـــبْرِ وداءِ الحَسَـــدِ

ومـــا سِـــوَى هـــذا مـــن الأَحكـــامِ ... فَـــرْضُ كِفَايَـــةٍ علـــى الأَنَامِ

كُـــلُّ مُهِـــمٍّ قَصَـــدُوا تَحَصُّـــلَهْ ... مِـــنْ غَـــيرِ أَن يَعتَـــبِرُوا مَـــن فَعَلَـــهْ

(١) صفوة الزبد (ص: ٤٠، ٤١).

ما التقسيم الذهبي الذي وضعه ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير القرآن الكريم؟

ويتعلق بتعلم التفسير أن نعرف أقسام كلمات القرآن وتراكيبِه:

هنا تجد تُرجمان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يفصل ذلك في قاعدةٍ محكمةٍ ليبين لك حكم تعلم التفسير، حيث يقول: «التفسير على أربعة أوجه: وجهٍ تعرفه العرب من كلامها، وتفسيرٍ لا يعذر أحد بجهالته، وتفسيرٍ يعلمه العلماء، وتفسيرٍ لا يعلمه إلا الله –تعالى ذكره–»[١]، وبيان ذلك باختصار:

الأول: وجهٍ تعرفه العرب من كلامها، ما يفهمه العربي سليقة لأول وهلة: والمراد أنه يفهم معناه المباشر، مثل ﴿ذَٰلِكَ - أَعۡطَيۡنَٰكَ - ٱلۡكِتَٰبُ﴾، ولا يقتضي هذا بالضرورة أن تلك الجملة ليس لها معنى غير هذا المعنى المباشر، وذلك في أمرين:

١) **في كلمات القرآن الكريم وجمله**: مثل ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ [العصر:١] فإن العربي يفهم معنى العصر للوهلة الأولى، ويفهم هذا الأسلوب الذي جاءت الكلمة فيه وهو القسم،

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٧٥).

ومثل ذلك كلمة آمنوا، والناس، الجن، هدى، ضلال...فالمعنى العام مفهوم...وهذا لا شك لا يحتاج إلى تفسير.

٢) **في أساليب القرآن الكريم**، فقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩] واضح عند العرب أنه أسلوب تهكم، وسُخْرِيَّة لا إكرام وإعزاز.

وأغلب القرآن ينتمي إلى هذا القسم؛ إذ كانت العرب تسمع كلمات القرآن ولا يزيد النبي ﷺ عليها شيئًا، بل يبلغها للناس فتأخذ عليهم مجامع قلوبهم دون شرح، فقد قرأ عليهم أوائل سورة فصلت، وسورة المسد لما نزلتدون احتياج إلى شرح أو تفصيل.

الثاني: تفسيرٍ لا يعذر أحد بجهالته: وذلك كتفسير الآيات في ثلاث مسائل: أصول العقائد الضرورية المتفق عليها، والأحكام العملية الضرورية كالصلاة، ومحاسن الأخلاق، فإنه لا بد له من تعلم حقائقها الشرعية، فهي بحاجة إلى تعلم بخلاف النوع السابق.

الثالث: **تفسير يعلمه العلماء: وهي الكلمات أو الجمل التي تندرج تحتها المعاني الدقيقة، فيمكنك هنا إدراك المعنى العام، لكن إدراك المعاني العميقة التي تندرج تحتها لا يتمكن منه إلا القليل**، كما في قصة ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في تأويل سورة النصر، فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر رضي الله عنه: إنه من قد علمتم. فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رُئِيتُ أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا. فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له. قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣]فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول[1].

ومن ذلك بيان المعاني الأهم التي تدخل في الكلمات القرآنية مثل كلمة ﴿قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فهي واضحة المعنى إلا أن النبي ﷺ أشار إلى أهم صور القوة حينما قال: (أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْي) [2]، وهذا النوع من التفسير ذكر النبي ﷺ بعضه مما احتيج إليه، وترك بعضه الآخر لاستنباط المستنبطين كما في قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]، ومن أمثلته قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

---

(١) البخاري (٤٢٩٤).

(٢) مسلم (١٩١٧).

فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٢]: أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم(١).

الرابع: وتفسيرٍ لا يعلمه إلا الله تعالى: وليس المراد أنه مبهم على الإطلاق بحيث لا يعلم، بل يكون معناه العام معلومًا، وتفصيله مجهولاً: كأمور الغيب، وكيفية وقوع الحقائق في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

ومثل ذلك آيات الحساب والجنة والنار، وآيات الصفات فمعنى الآيات معلوم والكيف غير معقول لأنه خارج قدرة المخلوق.

ما القصة التي دلت على صحة التقسيم الحبري لتفسير القرآن الكريم؟

ومما يشهد لهذا التقسيم الحبري المدهش للقرآن المجيد ما جاء عن أبي العالية قال: كانوا عند عبد الله بن مسعود ﷺ فوقع بين رجلين ما يقع بين الناس، فوثب كل واحد منهما إلى صاحبه، فقال بعضهم: ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر؟ فقال بعضهم: عليك نفسك إن الله تعالى قال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] فسمعها ابن مسعود ﷺ فقال: لم يجئ تأويل هذه الآية بعد: إن القرآن أنزل حين أنزل وكان منه آي مضى تأويله قبل أن ينزل، وكان منه آي وقع تأويله اليوم، ومنه آي يقع تأويله بعد اليوم، ومنه آي يقع تأويله عند الساعة وما ذكروا من أمر الساعة، ومنه آي يقع تأويله بعد يوم الحساب، والجنة والنار: فما دامت قلوبكم واحدة، وأهواؤكم واحدة، ولم تلبسوا شيعًا، ولم يذق بعضكم بأس بعض، فمروا وانهوا فإذا اختلفت القلوب والأهواء، وألبستم شيعًا، وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويلها(٢).

وهذا الوجه الأخير يدفعنا إلى طرح سؤال:

بما أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جعل القسم الرابع من التفسير: القسم الذي لا يعلمه إلا الله، فهل معنى ذلك أن من القرآن ما لا يُعرف معناه؟

الجواب: لا! بل القرآن كله مبين، وقد أخبر الله ﷻ عن إبانته باسم الفاعل: ﴿مبين﴾، والمراد بإبانته أن المعنى العامَّ لكلماته واضحٌ، إلا أن من كلماته ما لا يُعلَم معناها على التفصيل أو الحقيقة أو الكيفية، بل مرد ذلك إلى الله تعالى مجده، وقد تكون بعض التفاصيل غير معلومة لعدم حاجة البشرية إلى معرفتها، وسيأتي مزيد إيضاح لهذا الموضوع إن شاء الله.

الأساس الرابع: غاية علم التفسير:

ما غاية علم التفسير؟ وما الهدف الذي تطلب تحقيقه من معرفتك بعلم التفسير؟

---

(١) تفسير الطبري (١٧/٦٤٢).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ٩٢).

الغاية هدايةُ النفس والأنام إلى أعظم المصالح الدنيوية والأخروية سواء أكانوا مسلمين أم كافرين، ويبصرنا بذلك أن الله ﷻ ذكر غاية نزول القرآن وأهم أهدافه، فقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ثم عمَّ العالم، فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقد بين الله جل ذكره أن هذه النذارة للعالمين رحمة لهم فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ عن أهمية التفسير: «وحاجة الأمة ماسة إلي فهم القرآن الذي هو حبل الله المتين والذكر الحكيم، والصراط المستقيم ...»[(١)].

وهنا ربما تسأل: ألا يناقض هذا ما ورد في القرآن من أنه هدى خاص للمؤمنين، وللمتقين؟

أجيبك: بأن هناك أربع مراتب لهدايات القرآن:

المرتبة الأولى: القرآن هدى للعالمين أي رحمة بهم، كما سبق في آيتي الفرقان والأنبياء.

المرتبة الثانية: القرآن هدى للناس، كما سبق في آية البقرة آنفًا.

المرتبة الثالثة: القرآن هدى للمؤمنين، كما في قوله تعالى مجده: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، فهذه المرتبة لا تناقض ما سبق؛ لأن المؤمنين هم من ينتفعون بالقرآن المبين.

المرتبة الرابعة: القرآن هدى للمتقين كما في قوله جل مجده: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]؛ لأنهم الفئة الأكثر تطبيقًا له، فهم الأعظم نفعًا وانتفاعًا به.

ستقول: هذه الآيات تتكلم عن القرآن ونحن نتكلم عن غاية التفسير وهدفه، فما العلاقة بينهما؟

أجيبك: بأن التفسير بيانٌ لمعاني كلمات القرآن التي أراد الله ﷻ لنا أن نفهمها بقدر الطاقة البشرية، وبفهم معاني كلمات الله نستطيع أن نحافظ على صلاح الأرض، وأن نبني الصلاح في الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص: ٧).

الأساس الخامس: من صور التفسير في عهد النبي ﷺ وصحبه ﷺ:

كيف كان التفسير في عصر النبي ﷺ وأصحابه ﷺ؟

لم يكن التفسير القوليُّ في عهد النبي ﷺ وصحبه ﷺ كما في كتب التفسير الآن، ولكنه اتخذ صورًا منها:

الصورة الأولى: أن يكون التفسير بيانًا من النبي ﷺ للمُشْكِل، ومن أمثلته:

المثال الأول: عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ. ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ بِشِرْكٍ. أَوَ لَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]؟»[1].

المثال الثاني: عن ابن أبي مليكة، أن عائشة، زوج النبي ﷺ: كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: «من حوسب عذب» قالت عائشة

(١) البخاري (٣٣٦٠).

ﷺ : **فقلت أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: ٨] قالت: فقال: " إنما ذلك العرض، ولكن: من نوقش الحساب يهلك "**[(١)].

المثال الثالث: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ! كُلِّفْنَا مِن الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْجِهَادَ، وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلا نُطِيقُهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟، بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، وذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ: نَعَمْ.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. قَالَ: نَعَمْ. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. قَالَ: نَعَمْ. ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. قَالَ: نَعَمْ[(٢)].

ولك أن تسأل: ما الدليل على أن هذه الآية ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] بيانٌ للمشكل، وأن هذا هو معنى النسخ، وليست إثباتًا لحكمٍ جديدٍ؟

أجيبك: الدليلُ على ذلك أن الله جلَّ ذكرُه قرَّر معنى هذا القانون الذي ذكره في هذه الآية في آياتٍ مكيةٍ سبقت آية البقرة المدنية؛ وذلك مثلُ قوله جلَّ ذكره في سورة (المؤمنون): ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ﴾ [المؤمنون: ٦٢]، ومثل قوله تعالى جده: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ولا يصح أن آيات الوصايا الثلاث مدنية، بل هي مكية متداخلة مع آيات الوصايا في سورة الإسراء المكية. والتفسير هنا ليس من باب تفسير القرآن بالقرآن بل هو تفسير للقرآن بالقرآن ببيان النبي ﷺ.

الصورةُ الثانيةُ: قد يكون التفسير تصحيحًا من الصحابة ﷺ لفهمٍ خاطئٍ في القرآن الكريم: فعَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالرُّومُ مُلْصِقُو ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ، فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ، فَقَالَ

(١) البخاري (١٠٣).

(٢) مسلم (٢٤٤).

النَّاسُ: مَهْ! مَهْ! لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ!. فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ –الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ–:

إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ. لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَأَظْهَرَ الإِسْلاَمَ قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فَالإِلْقَاءُ بِالأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا، وَنَدَعَ الْجِهَادَ[١]، أو كما في قصةِ عمرانَ بنِ الحصين ﷺ في تصحيح فَهم الخوارج حيث جاءه نَافِعُ بْنُ الأَزْرَقِ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: هَلَكْتَ يَا عِمْرَانُ، قَالَ: مَا هَلَكْتُ، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: مَا الَّذِي أَهْلَكَنِي؟ قَالُوا: قَالَ اللَّهُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، قَالَ: قَدْ قَاتَلْنَاهُمْ حَتَّى نَفَيْنَاهُمْ، فَكَانَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، إِنْ شِئْتُمْ حَدَّثْتُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالُوا: وَأَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، شَهِدتُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَدْ بَعَثَ جَيْشًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا لَقُوهُمْ قَاتَلُوهُمْ قِتَالاً شَدِيدًا، فَمَنَحُوهُمْ أَكْتَافَهُمْ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنْ لُحْمَتِي عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِالرُّمْحِ، فَلَمَّا غَشِيَهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، إِنِّي مُسْلِمٌ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكْتُ، قَالَ: «وَمَا الَّذِي صَنَعْتَ؟» –مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ–، فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَهَلَّا شَقَقْتَ عَنْ بَطْنِهِ فَعَلِمْتَ مَا فِي قَلْبِهِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ شَقَقْتُ بَطْنَهُ لَكُنْتُ أَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ؟ وفي رواية أبي يعلى: لو شققت عن قلبه ما كان يُعلمني القلبُ. هل قلبه إلا مضغةٌ من لحم؟ قَالَ: «فَلاَ أَنْتَ قَبِلْتَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ، وَلاَ أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ»[٢].

الصورة الثالثة: أن يكون التفسير لغويًا:

فقد قرر الإمام الشافعي ﷺ **أن لسان العرب**: " أوسعُ الألسنة مذهبًا، وأكثرُها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسانٌ غير نبي"[٣]؛ وهذه إشارة لطيفة من إمام الأصول التفسيرية والفقهية بأن يُلجأ إلى الاجتهاد الجماعي في تقرير المسائل اللغوية الدقيقة وغيرها، ولذا قد يُسأل العربيُّ عن معنى لفظة عربية، فلا يعرفها، وأبرز أمثلة هذا النوع أجوبة ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن أسئلة نافع بن الأزرق، ومن أمثلتها: أن نافعًا سأل ابنَ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن قول الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] ما يحور؟ قال: يرجع. قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك قبل أن ينزل الكتابُ على محمدٍ ﷺ؟ قال: نعم، أما سمعت قول لبيد:

ومَـــا الـــمَرْءُ إلاَّ كالشِّـــهابِ وَضَـــوْئِهِ يحـــورُ رَمـــادًا بَعْـــدَ إذْ هُـــوَ ســـاطِعُ؟

(١) أبو داود (٢٥١٢)، والترمذي (٢٩٧٢)، وقال: "حسن صحيح غريب"، وصححه الأرناؤوط والألباني.

(٢) ابن ماجه (٣٩٣٠)، وحسنه البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/١٦٤)، وكذا الألباني.

(٣) الرسالة للشافعي ت رفعت فوزي (ص: ١٧).

وحقَّ لطالب التفسير أن يراجع كتاب بنت الشاطيء –رحمها الله– للاستفادة من الثروة اللغوية الضخمة التي يجدها في أسئلة نافع بن الأزرق وإن ضعفت الرواية سندًا[١].

الصورةُ الرابعة: أن يكون التفسير استنباطًا للأحكام في العموم والخصوص، ودلالات الألفاظ، كقضية تقسيم الأراضي المفتوحة فيئًا، حيث جُمِع فيها بين آية الغنائم في الأنفال، وآيات سورة الحشر، فعن عمرَ بن الخطاب ﷺ أنه جمع أناسًا من المسلمين، فقال: إني أريد أن أضع هذا الفيء موضعه، فَلْيَغْدُ كلُّ رجلٍ منكم عليَّ برأيه، فلما أصبحَ قال: إني وجدت آيةً من كتاب الله تعالى –أو قال: آياتٍ– لم يترك الله أحدًا من المسلمين له في هذا المال شيءٌ إلا قد سمَّاه. قال الله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]. قال: فهذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧]، ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر: ٨] فهذه للمهاجرين، ثم قال: فهذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] ثم قال: هذه للأنصار، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ثم قال: (فاستوعبتْ هذه الآيةُ الناسَ)، فليس في الأرض مسلمٌ إلا له في هذا المال حقٌّ أُعْطِيَهُ أو حُرِمَه[٢].

الصورةُ الخامسة: قد يكون التفسير بيانًا لسبب النزول، وللنازل، وأمثلته تأتي في مبحث (سبب النزول).

---

(١) قصة نافع بن الأزرق مع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رواها الطبراني في المعجم الكبير (١٠٥٩٧)، وأوردها السيوطي بتمامها في الإتقان (٣٤٧/١)، وقد ضعف القصة عدد من المحققين منهم الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٨/٦) قال: «وفيه جويبر وهو متروك»، كما أوردها السيوطي نقلاً عن ابن الأنباري في (الوقف والابتداء)، ويدور سياقها على محمَّد بن زياد اليشكري وهو كذاب، إلا أن النقاد أجازوا الرواية في التفسير عن بعض من لا تُقبل روايته في الأحكام؛ لأن مَرَدَّ التفسير إلى اللغة، وهي تثبت بطرق عدة.

(٢) مصنف عبد الرزاق (٧٢٨٧)، واللفظ له، أبو داود (٢٩٦٦)، ، النسائي (٤١٤٨)، سنن البيهقي الكبرى (١٢٩٧٨). وذكر الأرناؤوط والألباني أن رجاله ثقات، إلا أنه منقطع؛ فإن الزهري لم يدرك عمر بن الخطاب ﷺ، وذكر الألباني أن ذلك لا يضر؛ لأنه قد ذكر الذي بينهما وهو مالك بن أوس، كما في مسند الشافعي، وعنه البيهقي من طريق عمرو بن دينار عن الزهري عن مالك بن أوس، وإسناده صحيح. صحيح سنن أبي داود، ط غراس (٨/ ٣١٦).

الأساس السادس: المصطلحات التي برزت لتشير إلى علم التفسير، أو شيء منه:

ما المصطلحات التي برزت لتشير إلى علم التفسير في القرون الأولى؟

برزت في علم التفسير عدة مصطلحات في القرون الأربعة الأولى، أهمها:

١) علم التفسير، واصطلح الكاتبون فيه على إدراج كل ما تعلق بالآية من معنى، أو حكم مستنبط، أو سبب نزول، أو قصة، ولو لم تكن متعلقة بالمعنى، وصنيع أئمة المحدثين كالبخاري ومسلم في كتاب التفسير من كتبهم يبين ذلك، فمصطلح التفسير يتسع عندهم لذلك كله، وعلى ذلك جرى من ألف في التفسير فيما بعد في غالب المصنفات التفسيرية، وإذا كان الشوكاني قد نقد ابن كثير وغيره من المفسرين في استطرادهم في سورة الإسراء، فقال عنه: "واعلم أنه قد أطال كثير من المفسرين كابن كثير والسيوطي وغيرهما في هذا الموضع بذكر الأحاديث الواردة في الإسراء على اختلاف ألفاظها، وليس في ذلك كثير فائدة فهي معروفة في موضعها من كتب الحديث، وهكذا أطالوا بذكر فضائل المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وهو مبحث آخر والمقصود في كتب التفسير ما يتعلق بتفسير ألفاظ الكتاب العزيز، وذكر أسباب النزول، وبيان ما يؤخذ منه من المسائل

الشرعية، وما عدا ذلك فهو فضلة، لا تدعو إليه حاجة"[١]...فإن المطالع لكتابه فتح القدير في التفسير يجده استطرد أكثر من استطراد ابن كثير في معظم تفسيره سردًا للأحاديث والروايات، أو استنباطًا للأحكام، أو ذكرًا للقراءات، أو تفريعًا لمسائل الفقه، ونقل صاحب (أبجد العلوم) عن بعض الفضلاء قال: علم التفسير لا يتم إلا بأربعة وعشرين علمًا[٢]، بل توسع المتأخرون كالسيوطي فجعلوا كل علوم القرآن من فروع علوم التفسير كما في كتابه التحبير في علوم التفسير.

٢) علم معاني القرآن، وتجد كتبه تتضمن التفسير اللغوي والإعرابي العام: ككتاب معاني القرآن للفراء(ت٢٠٧هـ)، ولأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ).

٣) علم غريب القرآن: ويأتي مبحث خاص به في القسم الثالث إن شاء الله تعالى.

٤) علم مشكل القرآن: ككتاب ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ).

٥) علم إعراب القرآن: ككتاب (إعراب ثلاثين سورة من القرآن) لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ).

٦) علم أحكام القرآن: ككتاب أحكام القرآن للقاضي إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت٢٨٢هـ)، ومثله لأحمد بن مُحَمَّد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، وأحكام القرآن للجصاص (ت ٣٧٠هـ)،

ونلحظ أن كل ما ذكر بعد علم التفسير يضمنه المفسرون غالبًا في كتبهم، ويعد إفرادها إفرادًا لنوع مما يدخل في التفسير، وإنما أُفرد ليتوسع فيه.

وناقش بعض المعاصرين –وهو الدكتور المحقق المحرر مساعد الطيار–توسع المفسرين في تحديد اصطلاح التفسير حيث أضافوا إليه غيره مما لا يتعلق به–من وجهة نظر الطيار– فعرف التفسير بأنه: بيان معاني القرآن فقط، وما كان وراء بيان المعاني في كتب التفسير فإنه إما أن يكون من علوم القرآن سوى التفسير، وإما أن يكون من الاستنباطات والفوائد، وإما أن يكون من علوم شتى من العلوم الإسلامية وغيرها[٣]...وهو في ذلك ذاهب إلى المعنى اللغوي المباشر لكلمة تفسير، والأصل من وجهة نظري النظر فيما تعارف عليه المفسرون في تعريف التفسير ليكون تعريفًا للمصطلح لا النظر في المعنى اللغوي المباشر لكلمة تفسير.

---

(١) فتح القدير(٣/ ٢٩٨).

(١) أبجد العلوم (٢/ ٦).

(٣) بحث عن إشكالية تحديد المصطلحات في الدراسات القرآنية: الدكتور مساعد الطيار منشور في شبكة التفسير والدراسات القرآنية.

الأساس السابع: شرفُ علم التفسير:

كيف تقنع من يستمع لك بشرف علم التفسير؟

الجواب: أقول له: ينبغي أن تجعل علم التفسير العلمَ المقدَّم في حياتك؛ للمزايا العظيمة التي حازها هذا العلم كثيرة، ومنها:

المزية الأولى: موضوع علم التفسير وهو كتاب الله؛ وشرف العلم إنما يكون باعتبار موضوعه وغايته، فقد قال أبو القاسم حسين بن مُحَمَّد الراغب الأصفهاني: "**علم التفسير قد حاز الشرف من جهات ثلاث:**

أحدها من جهة الموضوع؛ فإن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة.

وثانيها: من جهة الغرض؛ فإن الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي هي الغاية القصوى.

وثالثها: من جهة شدة الحاجة؛ فإن كل كمال ديني أو دنيوي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى"[(١)].

المزية الثانية: علم التفسير يعني بيان مراد الله –تعالى ذكره– وفق ما يستطيعه الفهم البشري، وبذا يكون علم التفسير بذلك أعظمَ العلوم!!، ولذا قال ابن عطية (ت٥٤٢هـ): «فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علمٍ أُعِدُّ أنوارَه لظُلَم رمسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرفَ العلمِ على قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتَنَها حبالاً، وأرسَخَها جبالاً، وأجمَلَها آثارًا، وأسطعها أنوارًا علمُ كتاب الله»[(٢)].

المزية الثالثة: التفسير مصدر بقية العلوم الشرعية، فقد انبثقت عنه؛ «إذ هو الأصل في فهم القرآن وتدبره، وعليه يتوقف استنباط الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام»[(٣)]، والتفسير أداة تدبر القرآن الكريم وتفهمه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، فوسيلة المعرفة: التدبر، وغاية المعرفة: التذكر، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، [القتال:٢٤]، وقال إياس بن معاوية: "مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم، مثل قومٍ جاءهم كتابٌ من صاحبٍ لهم ليلاً، وليس عندهم مصباحٌ، فتداخلهم لمجيء الكتاب روعةٌ لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه"[(٤)].

المزية الرابعة: هذا العلم هو الذي دعا به النبي ﷺ لنبلاء أصحابه وساداتهم ﵃؛ كابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فقد دعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»[(٥)].

وقد يتساءل بعضهم هنا: هل الفقه بالمعنى الاصطلاحي المتأخر مقدمٌ على التفسير بنص الحديث؟

والجواب: لا! لأن المراد من الفقه هنا هو علم الدين بسائر أنواع العلوم، وليس المراد علم الفقه المخصوص بعلم الفروع المتأخر، وتعلم الدين لا يتأتى إلا وفق المصدر الأول للدين، وهو القرآن الكريم الذي هو مع السنة عمدة الفقهاء في الاستدلال...وعلى هذا فالمراد من الدعاء تعلم تفسير كلام الله «فقهه في الدين»، ودقائق مدلولاته «وعلمه التأويل»، ويؤيد ذلك ثلاثة أمور:

الأول: أن الفقه بمعنى فقه الفروع اصطلاح متأخر، ولا يحاكم الاصطلاح الشرعي إلى الاصطلاح المتأخر.

---

(١) أبجد العلوم (٢/ ١٧٥).

(٢) تفسير ابن عطية (١/٦)، ورَمَسَ الْمَيِّتَ: غَطَّاهُ بِالتُّرابِ، دَفَنَهُ وسوَّى عليه التراب، والرَّمْسُ: القبرُ، والرَّمْسُ: الترابُ الذي يُحثَى على القبرِ، والرَّمْسُ: التُّربُ تَرْمُسُ به الريحُ الأَثَرَ.

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم، للدكتور محمد أبي شهبة (ص:٢٠).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٢).

(٥) روى البخاري (١٤٣) الشطر الأول منه، وفيه (٧٥): عن ابن عباس قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: «اللهم علمه الكتاب»، ورواه كاملاً الإمام أحمد (٢٣٩٧)، وقال الأرناؤوط:" إسناده قوي على شرط مسلم".

ويوضح الهروي ﷺ ذلك، فيقول:« (اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ): بِكَسْرِ الْقَافِ الْمُشَدَّدَةِ، أَيِ اجْعَلْهُ فَقِيهًا عَالِمًا (فِي الدِّينِ)، أَيْ أُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ الْفِقْهَ الْمُتَعَارَفَ الْمُخْتَصَّ بِفُرُوعِ الْمُعَامَلَاتِ وَالْخُصُومَاتِ»[١].

وقد ناقش حجة الإسلام الغزالي ﷺ هذا المعنى في إحيائه، وتعرض لما يمكن أن نطلق عليه التحور الدلالي للمصطلح، وكان مما قرره أن الفقه في العهد الأول إنما كان يراد به فقه النفس، وصلاح البواطن المستمد من كلام الله ووحيه، واسمع له حين يقول: "ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقًا على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس، ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب، ويدلك عليه قوله ﷻ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه"[٢].

الثاني: رواية طاووس عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: دعاني رسول الله ﷺ فمسح على ناصيتي وقال: «اللهم علمه الحكمة، وتأويل الكتاب»[٣] فإذا قلنا: إن الحكمة هي السنة فهي التفسير العلمي والعملي للكتاب...على أن أهل العلم اختلفوا في معنى الحكمة هنا "والأقرب أن المراد بها في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الفهم في القرآن"[٤]، كما يقول ابن حجر.

الثالث: ما جاء في رواية البخاري: «اللهم علمه الكتاب»[٥]، أي حفظًا وتفسيرًا، كما قال ابن حجر: "والمراد بالتعليم ما هو أعم من حفظه والتفهم فيه"[٦]، وفي بعض الروايات "اللهم علمه الحكمة"[٧] بدل الكتاب "فيحمل على أن المراد بالحكمة أيضا القرآن جمعًا بين الروايات فيكون

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٩٧٢)، وقال الغزالي في إحياء علوم الدين (١/ ٣٢): "خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم

اللفظ الأول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذا خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوي والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقاً فيها وأكثر اشتغالاً بها يقال هو الأفقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقًا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله ﷻ ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والإجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له، وقال تعالى {لهم قلوب لا يفقهون بها} وأراد به معاني الإيمان دون الفتاوى".

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٣٢).

(٣) ابن ماجة (١٦٦)، وقال الأرناؤوط:" إسناده صحيح".

(٤) فتح الباري (١/ ١٧٠).

(٥) البخاري (١٧٥).

(٦) فتح الباري (١/ ١٧٠).

(٧) البخاري (٣٧٥٦).

بعضهم رواه بالمعنى، وللترمذي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: دعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الحكمة مرتين[١]، "فيحتمل تعدد الواقعة فيكون المراد بالكتاب القرآن، وبالحكمة السنة"[٢].

المزية الخامسة: القرآن حوى ثمرات الكتب السماوية السابقة ونسخ منها مالا حاجة به، وتمم ما أراد الله أن يكمله ليبقى مدى الأزمان صانعًا للحياة، صابغًا لها بصبغة الله تعالى، شافيًا لأسقامها، بانيًا لنهضتها فالله "جعل كتابه الخاتم متضمنًا لثمرة كتبه، التي أولاها أوائل الأمم، كما نبه عليه بقوله تعالى: ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة:٢ – ٣]، وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه –مع قلة الحجم– متضمن للمعنى الجم، وبحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية عن استيفائه، كما نبه عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧][٣].

كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدي إلى عينيك نورًا ثاقبا

كالشمس في كبد السماء وضوءها ... يغشى البلاد مشارقًا ومغاربا"[٤]

وفي ذلك يقول سيد قطب (ت١٣٨٥هـ): "والبشرية من صنع الله تعالى؛ ولذلك لا تُفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله خالقها، ولا تُعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده سبحانه، وقد جعل الله مفاتيحَ كلِّ مُغلقٍ، وشفاءَ كل داء في كتابه المجيد: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]"[٥].

: فإن قلت: هلَّا ذكرت بعض الأمثلة التي تدل على اهتمام السلف بعلم التفسير؟

أجيبك بأنه: لشرفه تسابق السلف إلى معرفته، والترغيب في مدارسته فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم في جبل"[٦]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحدًا هو أعلم بكتاب الله

---

(١) الترمذي (٣٨٢٣)، وصححه الألباني.

(٢) فتح الباري (١/ ١٧٠).

(٣) فتدخل كلمات القرآن في كلمات الله المذكورة في الآية، ففي تفسير الماوردي = النكت والعيون (٤/ ٣٤٥): «وفي {كَلِمَاتُ اللَّهِ} هنا أربعة أوجه: أحدها: أنها نعم الله على أهل طاعته في الجنة. الثاني: على أصناف خلقه. الثالث: جميع ما قضاه في اللوح المحفوظ من أمور خلقه. الرابع: أنها علم الله» والقرآن أنزله الله بعلمه، وفي التحرير والتنوير (٢١/ ١٨١): «وَكَلِماتُ جَمْعُ كَلِمَةٍ بِمَعْنَى الْكَلَامِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٠] أَيِ: الْكَلَامُ الْمُنْبِئُ عَنْ مُرَادِ اللَّهِ مِنْ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ مِمَّا يُخَاطِبُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْعَنَاصِرِ الْمَعْدُودَةِ لِلتَّكَوُّنِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: كُنْ فَتَكُونُ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَنْزَلَهُ مِنَ الْوَحْيِ إِلَى رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ مِنْ أَوَّلِ أَزْمِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا سَيُنْزِلُهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيْ لَوْ فَرَضَ إِرَادَةَ اللَّهِ أَنْ يَكْتُبَ كَلَامَهُ كُلَّهُ صُحُفًا».

(٤) المفردات للراغب الأصبهاني (١/٢٠).

(٥) في ظلال القرآن (١/١٥).

(٦) تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٣/ ٢٤١)، وهو في تفسير القرطبي (١/ ٦٦).

مني تبلغه الإبل لركبت إليه"[١]، وعن مسروق قال: "وجدت أصحاب مُحَمَّد صلى ﷺ مثل الإخاذ يروي الواحد، والإخاذ يروي الاثنين، والإخاذ لو ورد عليه الناس أجمعون لأصدرهم وإن عبد الله بن مسعود من تلك الإخاذ"[٢]، وقال الحسن: "والله ما أنزل آية إلا وهو يحب أن يعلم العباد فيما أنزلت، وماذا عنى بها"[٣]، وقال مجاهد: "أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل"[٤].

ويتعلق بشرف علم التفسير هذه الحقيقة:

قاعدة: احتياج القرآن للتفسير سببه كمال القرآن ونقصان الإنسان:

لماذا وضعنا هذه القاعدة؟

هذه القاعدة جاءت بناء على سؤال: خاطب الله ﷻ خلقه بما يفهمونه، وقد أقام الله ﷻ علينا الحجة بذلك، فأرسل رسله عليهم السلام يبلغون قومهم كتاب ربهم بلغتهم ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ (إبراهيم: ٤)، ووصف الله ﷻ القرآن خاصة في عشرات الآيات بالإبانة مقروءًا ومكتوبًا، في لفظه وطريقة أدائه، وفي معانيه، ومفاهيمه، منها قوله: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١٥]، وقوله: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ١، ٢]، وقوله: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: ١] ، فإذا كان القرآن مبينًا، وإذا كان "الأصل أن كل من وضع من البشر كتابًا فإنما وضعه ليُفهم بذاته من غير شرح"[٥]، فأولى أن يخاطب الله ﷻ البشر بما يفهمون من غير احتياج إلى شرح، ليكون القرآن حقًا كما وصف نفسه بلاغًا مبينًا.

فلماذا نحتاج إلى التفسير؟

---

(١) مسلم (٦٤١٥)، إلا جزء اللقاء، فقد ذكره القرطبي (١/ ٦٦).

(٢) ذكره القرطبي. ينظر: تفسير القرطبي (١/ ٦٦).

(٣) الدر المنثور (٢/ ٦٩).

(٤) تفسير القرطبي (١/ ٥٩)، فتح القدير (١/ ٢٠).

(٥) البرهان (١/ ١٤)، كشف الظنون(١/ ٣٦)، ونقله عنه في أبجد العلوم (١/ ١٩٠).

الأساس والتنوير في أصول التفسير أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

الجواب: يجمعه تلك القاعدة التي قررتها، ويمكن تفصيلها في أربعة أمور:

أحدها: كمال فضيلة القرآن: "فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عسر فهم مراده، فقُصِد بالشرح ظهورُ تلك المعاني الخفية"[(١)]، "فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابًا في فن من العلم كالطب والحساب، ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم؟"[(٢)].

ثانيها: نقصان فهم الإنسان خاصة كلما بعد الزمان عن تنزل ذلك الوحي، وهذا الذي أشار إليه حبر القرآن وترجمانه، فقد خلا عمر بن الخطاب ﷺ ذات يوم يحدث نفسه فأرسل إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: كيف تختلف هذه الأمة، ونبيها واحد، وكتابها واحد، وقبلتها واحدة؟...فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يا أمير المؤمنين إنا أُنزِل علينا القرآن فقرأناه، وعَلِمْنا فيم أنزل،

(١) كشف الظنون (١/ ٣٦)، ونقله عنه في أبجد العلوم (١/ ١٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٢).

وإنه سيكون بعدَنا أقوام يقرأون القرآن، ولا يعرفون فيم نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا(١).

ثالثها: تفاوت الأفهام البشرية: فالأفهام تتفاوت في إدراك معاني الكلمات والجمل لبعد عهد بالعربية، أو لقصورٍ في الإحاطة بتراكيبها، وهنا يبحث المؤمنون عن المعاني الحقة، ويضل الفاسقون، فتكون الآيات عليهم عمى، والقرآن إنما نزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق بواطنه فقد تخفى:

– **عن جمع العلماء فضلاً عن غيرهم** كما في آية (الظلم) المتقدمة.

–**وقد يكون الخفاء عن بعضهم فقط**: فلما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ، قال له عدي ﷺ: يا رسول الله، إني أجعل تحت وسادتي عقالين: عقالاً أبيض وعقالاً أسود، أعرف الليل من النهار، فقال رسول الله ﷺ: «إن وسادتك لعريض، إنما هو سواد الليل وبياض النهار»(٢).

فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم.

رابعها: تجدد الأحداث مع ثبات النصوص: فإن القرآن المحدود الألفاظ يختزل المعاني غير المحدودة لتحيط بقضايا الناس، ونصوص القرآن الكريم جاءت ثابتة لا تتغير لكن معانيها تحتمل كل شيء تجدد في أقضية الناس وحياتهم؛ لأن الله ﷻ الذي خلقهم يعلم ما يكون منهم عند نزول القرآن وبعده ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

يمكننا أن نشبه المعاني المكتنزة في منصوص كلام الله ﷻ بالطبقات بعضها فوق بعض، يظهر الله منها لعباده في كل عصر عن طبقة لم يكن بمعلوم لمن سبقهم، وهذا معنى من معاني تجدد وتجديد فهم كلام الله وتفسيره، وعدم انقضاء عجائبه، مع ثبات حفظه من الزيادة والنقص.

ولكن هذا الثبات في النصوص القرآنية مع شمول معانيها للأحداث المتجددة يحتاج إلى من يستنبط دخولَ الأحداث المتجددة في معاني تلك النصوص، كما قال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، فبحث دخول المسألة في دلالة النص على اختلاف وجوهها أمرٌ "مطلوب لا مكروه، بل ربما كان فرضًا على من تعين عليه من المجتهدين"(٣).

ومن ذلك ما يتعلق بتنزيل الآيات على الواقع، وأشار إلى ذلك حبر القرآن وترجمانه فيما ذكرناه قبل قليل.

فهل هذا يعني أنه سيأتي زمان لا يوجد مستنبطون لأحكام الأحداث الجديدة من القرآن الكريم؟

---

(١) سنن سعيد بن منصور (١/ ١٧٦)، قال المحقق: الحديث صحيح لغيره، وأما هذا الإسناد فرجاله ثقات، إلا أنه ضعيف للانقطاع بين التيمي وعمر بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، فإن التيمي لم يدرك زمن عمر ﷺ".

(٢) مسلم (٢٥٠٠).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٦٧).

لا خوف! إذ لا بد أن تقام الحجة بمن يستنبط من القرآن مراد الله على الوجه الصحيح، فقد **قال معاذ بن جبل ﷺ: (لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سُئل سُدِّد، وإذا قال وُفِّق)**[١]، لكن القضية لا تكمن في وجود المستنبط على الوجه الصحيح، وإنما تكمن في اتباعه، وهذا لا يناقض ما افترضه إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت ٤٨٧هـ) ﷺ من افتراض مجيئ زمان يخلو من حملة للشريعة[٢]؛ إذ إن ما قررناه إنما هو على سبيل الأغلبية، ومعلوم أن من أشراط الساعة أن تقوم على شرار الناس، وأن يرفع القرآن.

لكن كل ذلك وما سيأتي في هذا الكتاب يحمل الإنسان على التفكير كثيرًا عند الجرأة على محاولة تفسير القرآن الكريم؛ "فإن التكلم في تفسير القرآن ليس بالأمر السهل، وربما كان من أصعب الأمور، وأهمها، وما كل صعب يترك.. ووجوه الصعوبة كثيرة، أهمها: أن القرآن كلام سماوي، تنزل من حضرة الربوبية التي لا يُكتنه كنهها، على قلب أكمل الأنبياء ﷺ، وهو يشتمل على معارف عالية، ومطالب سامية، لا يشرف عليها إلا النفوس الزاكية والعقول الصافية، وإن الطالب له يجد أمامه من الهيبة والجلال، الفائضين من حضرة الكمال ما يأخذ بتلابيبه، ويكاد يحول دون مطلوبه، ولكن الله ﷻ خفف علينا بأن أمرنا بالفهم والتعقل لكلامه"[٣].

وصاغ هذه الحقيقة الشيخ الطالب زيدان –وفقه الله–:

إنَّ احْتِيَـــاجَ الـــذِّكْرِ للتَّفْسِـــيرِ مِـــنْ كُـــلِّ حِـــبْرٍ رَاسِـــخٍ نِحْريـــرِ

سَـــــبَبُهُ الكَمَـــــالُ للقُـــــرْآن أصَـــالَةً والـــنقْصُ للإنْسَـــانِ

(١) الدارمي (١٥٥)، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٢) غياث الأمم (ص: ٤١٧).

(٣) هذا الكلام المتين لمحمد عبده في كتابه: مشكلات القرآن، وتفسير سورة الفاتحة مع مقدمة في التفسير وثلاث مقالات (ص: ٩).

الأساس الثامن: أنواعُ التفسير:

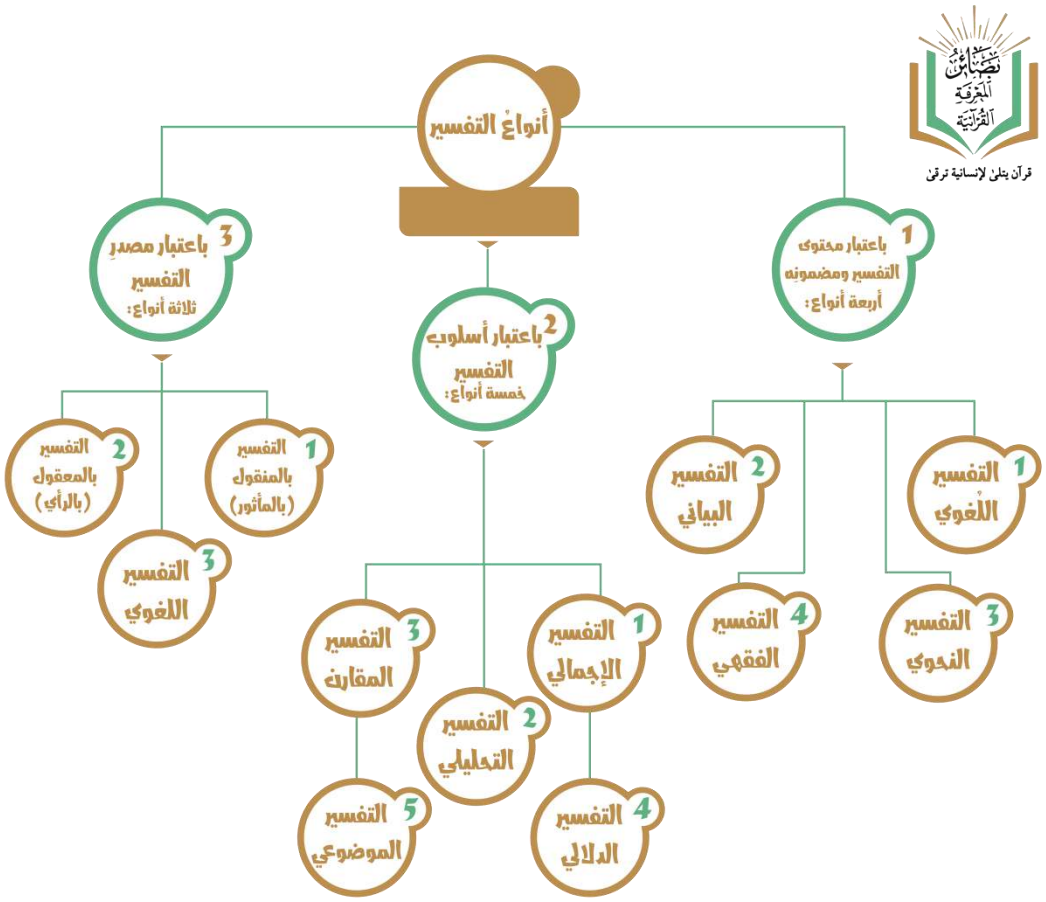

تتعدد أشكال التفسير القرآني باعتبارات محددة لتقسيمها، وَلْنُشِرْ ها هنا إلى أهم هذه التقسيمات:

ما أنواع التفسير باعتبار محتوى التفسير ومضمونه؟

التقسيم الأول: باعتبار محتوى التفسير ومضمونِه:

تقسيم تفسير القرآن هنا بناء على أن القرآن يحتوي أصول العلوم الإنسانية على الأقل، فيجب -كما يقرر الأستاذ محمود شاكر ﷺ تعالى- أن يكون أصل الأصول في دراسة الأدب والتاريخ معًا هو النظر في كتاب الله تعالى باعتباره حادثة فريدة في تاريخ البشرية، وتجليًا مذهلاً للعلوم بحسب مفهوم الإعجاز[1]، وعلى هذا يمكن أن يقسم التفسير إلى الأنواع الآتية:

النوع الأول: التفسير اللُغوي: ببيان معنى المفردة القرآنية من حيث أصل وضعها اللغوي ، كأسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ومعظم التفاسير تتضمن هذا النوع، كتفسير

(١) محمود شاكر لعمر حسن القيام (ص:١١).

الطبري، ومعاني القرآن للنحاس، والزجاج، والفراء، ويدخل فيه تفسير غريب القرآن، ومن أمثلة الكتب المتأخرة التي عُنيت به: تفسير الجلالين، وتفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي، ومفاتح فهم القرآن لشيخنا الدكتور أحمد الإمام –رحمة الله عليهم جميعًا–.

النوع الثاني: التفسير البياني: ويبحث عن أوجه الإعجاز البيانية والبلاغية في المفردة أو الجملة القرآنية كتفسير الكشاف للزمخشري، وملاك التأويل للغرناطي، وتفسير أبي السعود، والتحرير والتنوير، ثم ألفت فيه مؤلفات مستقلة كالتفسير البياني لبنت الشاطئ، والتعبير القرآني، ولمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي...وظهر للرافعي جهد متفرق في كتبه منها وحي القلم، وإعجاز القرآن، ولسيد قطب قصب سبق فيه؛ حيث ظهر ذلك بجلاء في تفسيره (الظلال) الذي اعتمد فيه على ما سطره في كتابه (التصوير الفني في القرآن الكريم)؛ حتى ليمكن اعتباره مقدمة للظلال.

النوع الثالث: التفسير النحوي: وفيه بيانٌ لإعراب القرآن الكريم، وللمشكلات النحوية من خلال القرآن، كتفسير البحر المحيط، لأبي حيان، والدر المصون لتلميذه السمين الحلبي، وإعراب القرآن للعكبري، والفريد في إعراب القرآن المجيد، للهمداني، كما أن التفاسير المذكورة في التفسير البياني لها اعتناء بالتفسير النحوي، ونجد كتبًا معاصرةً حاولت استخلاص نظريةٍ للنحو القرآني، كـ(النحو القرآني) للدكتور أحمد الأنصاري، وقد أحدث لغطًا.

النوع الرابع: التفسير الفقهي: ويختار المفسر فيه آيات الأحكام فيجعلها أهم مواد تفسيره ويقوم بتحليلها، ومن أهم الكتب المؤلفة فيه كتب أحكام القرآن: للإمام الشافعي، والجصاص، وابن العربي، وغيرهم، وأطلق عليه عند المتأخرين آيات الأحكام غير أن بعض المفسرين لا يقتصر عليها بل يفسر القرآن كله ويجعل آيات الأحكام أهم ما ينظر إليه، كما فعل القرطبي في تفسيره.

وعلى هذا المنوال يمكن إضافة: التفسير التاريخي أو القصصي الذي يتناول قصص القرآن، أو يفسر التاريخ بحسب ما ورد في القرآن، وعلى هذا المنوال يمكن إضافة التفسير الفني، أو التصويري الذي يتكلم على التصوير الفني والتفاعلي في القرآن الكريم.

ما أنواع التفسير باعتبار الأسلوب؟

التقسيم الثاني: باعتبار أسلوب التفسير:

ينقسم التفسير باعتبار الأسلوب إلى الأنواع الآتية:

النوع الأول: التفسير الإجمالي: وفيه يشرح المفسر المعنى العام للآيات إجمالاً، مع بيان غريب الألفاظ والربط بين المعاني في الآيات بعبارة سهلة توضح مقاصدها، وقد يضيف ما تدعو الضرورة إليه من سبب نزول أو قصة أو حديث ونحو ذلك. ومن التفاسير التي اعتنت بذلك: أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري المعاصر، ومن الكتب التي اعتنت بذلك على وجه دقيق في ظلال القرآن لسيد قطب ﵀ وبالأخص في مقدمات تفسير السور، فهو –وإن كان ينتمي للتفسير البياني والتصويري والفني– فإنه يعطي المعنى الإجمالي للآيات التي يحللها ابتداء.

وقد يطلق على هذا النوع من التفسير: التفسير (الجملي) أخذًا من الجملة، وهي جمع المتفرقات كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان:٣٢]، واستخدم هذا المصطلح (التفسير الجملي) المراغي في تفسيره.

النوع الثاني: التفسير التحليلي (ويسمى: الموضعي، أو التجزيئي): وهو يقابل التفسير الإجمالي، وكلمة (التحليل) لغة مشتقة من الحَل بمعنى: النقض للمنعقد، والفتح للمغلق، يقال: «حلّ العقدة يحلها حلاً: فتحها ونقضها، فانحلت»[(١)]، وكأن المفسر فيه يحلل المعقود من الكلمة القرآنية ليصل إلى تفاصيل معانيها، فيهتم المفسر بتحليل الآيات القرآنية وتفصيلها آية آية تبعًا لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف شارحًا كل ما يتعلق بها من اللغة والنحو والغريب والحديث والروايات التاريخية، والفقه والقراءات وعلم الكلام، وقد يهتم بذكر الروابط بين الآيات والمناسبات بين السور ونحو ذلك، ويمكن التمثيل لهذا النوع: بتفسير جامع البيان للطبري، وتفسير مفاتح الغيب لفخر الدين الرازي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وفتح القدير للشوكاني، وروح المعاني للآلوسي، والتحرير والتنوير...مع تفاوت بينها.

والتفسير التحليلي يشكل معظم الثروة التفسيرية التي بين أيدينا، ويحتاجه المفسرون الذين يكتبون في الأنواع المقابلة له؛ إذ يمكن أن يمثل المرحلة الأولى للتفسير الإجمالي أو الموضوعي أو المقارن؛ فمن خلال التفسير التحليلي تُعرف الحقائق اللغوية والشرعية للمفردات القرآنية، وتظهر المناسبة والاتصال بين الكلمات والجمل التي تُكَوِّنُ الآيات، كما يظهر علم الاتصال القرآني بين الآيات التي تُكَوِّن السور، وفيه يظهر الثراء المعنوي للكلمات القرآنية، ويلوح واضحًا الإعجاز التصويري للقراءات القرآنية، وتتبدى وجوه الإعراب المختلفة، كما تتضح الدلالات التركيبية، فالمفسر في الأنواع الأخرى بأمس الحاجة إليه ليهتدي للمعنى الذي تدل عليه الآيات، من غير تعجلٍ في تقرير معنى قد يظهر الصواب خلافه عند تفصيل الآيات.

ولا بد أن يتشبع المفسر هنا بالنصوص الأثرية والعلوم اللغوية والبلاغية ليتسم بالعمق المطلوب، ويتمكن من التحليل الدقيق للآية، ويصل إلى أسرار الآيات وبياناتها المعجزة التي تظهر من قوة التدبر، وصفاء التفكر.

النوع الثالث: التفسير المقارن: وفيه يقرن المفسر بين أقوال المفسرين ويوازن بينها، والقرن ربط لأقوال المفسرين بعضها ببعض، وعند الربط ينظر فيها ثم يوازن بينها، وقد يرجح قولاً منها، وليس المقصود بالمقارن مجرد الربط فقط، فالمصطلح أوسع من المعنى اللغوي، ويمكن التمثيل له بتفسير الطبري، وكذلك تفسير ابن أبي حاتم لكنه يلتزم المأثور، وكذلك تفسير مفاتح الغيب للرازي، ونحوه كتفسير (فتح القدير) للشوكاني.

---

(١) تاج العروس (٣٣١/٢٨).

النوع الرابع: التفسير الدلالي: وهو يهتم بالبحث عن دلالة لفظة معينة في القرآن الكريم، ومن أنفع الكتب المؤلفة فيه: المفردات للراغب الأصفهاني، و(مفردات القرآن) لعبد الحميد الفراهي، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم للدكتور/ مُحَمَّد حسن جبل، وقد يسمى هذا عند علمائنا: علم الوجوه والنظائر في التفسير.

النوع الخامس: التفسير الموضوعي: وقد يسمى التفسير التوحيدي، وهو يهتم بألوان محددة من التفسير:

اللون الأول: موضوع السورة الواحدة أي محورها العام الذي تدور عليه آياتها، ومقاطعها.

اللون الثاني: موضوع قرآني معين: فيجمع فيه جميع الآيات التي تتكلم عليه كآيات الصبر في القرآن، وآيات العلم، وآيات قصة موسى عليه السلام مثلاً، والسلم الاجتماعي في القرآن الكريم وهكذا،

اللون الثالث: موضوع قرآني معين في سورة بعينها: كالجدل في سورة الأنعام، والنظام الاجتماعي في سورة النور.

اللون الرابع: المصطلح القرآني: كأن يتتبع مصطلح الإيمان أو الكفر في القرآن الكريم.

وربما تساءلت: ما الهدف من التفسير الموضوعي؟

الجواب: الهدف من التفسير الموضوعي بيان الرؤية القرآنية للقضايا العامة والتفصيلية في شؤون الحياة الدينية والدنيوية.

فإن قلت: ما أبرز التفاسير التي تعنى بالتفسير الموضوعي، أو بجانب من جوانبه؟

الجواب: من أبرز التفاسير التي اعتنت بجانب من هذه الجوانب: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، وتفسير الظلال لسيد قطب، ومؤخرًا أنتجت لجنة من العلماء المعاصرين في جامعة الشارقة كتابهم (التفسير الموضوعي) في عشرة مجلدات، كما شرع مركز (تفسير) في كتابة تفسير كبير في موضوعات القرآن الكريم، ومشروعي (بصائر المعرفة القرآنية) ينتمي إلى هذا النوع كما يمكنك أن تنسبه إلى عدد من الأنواع السابقة.

وقد تسأل: ما الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير الدلالي؟

الجواب: الفرق بينه وبين التفسير الدلالي في أن اللفظة التي تذكر هنا يراد بحثها من حيث إنه موضوع معين لا من حيث إنها لفظة نريد البحث عن دلالتها في القرآن: فكلمة الأمة إذا أراد حصر دلالاتها في القرآن الكريم سمي هذا علم الوجوه والنظائر، وصار التفسير دلاليًّا، وإذا أراد الباحث الكلام عن موضوع الأمة وكيفية تكوينها، ومرتكزاتها في القرآن الكريم صار التفسير موضوعيًّا.

ما أنواع التفسير باعتبار مصدر التفسير؟

التقسيم الثالث: باعتبار مصدرِ التفسير:

يرجع التفسير باعتبار مصدره إجمالاً إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التفسير بالمنقول (بالمأثور): أي: تفسير القرآن بالقرآن؛ إذ لا أحد أعلم من الله بكتابه ، وبما نُقِلَ عن الرسول ﷺ في سنته، وعن الصحابة الكرام ﷺ في أحاديثهم التي لها حكم الرفع، أو فيما أجمعوا عليه، ويسمى: تفسيرًا بالرواية، ومن أبرز المؤلفات فيه: تفسير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن كثير، وما جمعه السيوطي في الدر المنثور، ومؤخرًا أصدر مركز الشاطبي في جدة موسوعته حول التفسير بالمأثور، وليتهم حكموا على تلك الروايات.

النوع الثاني: التفسير بالمعقول (بالرأي): أي: ما كان مصدر التفسير فيه الاجتهاد، والاستنباط من لدن الصحابة ﷺ، وحتى يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها سواءً أكان هذا الاستنباط صحيحًا أم فاسدًا، ومن أبرز أمثلته: تفسير الزمخشري، والرازي، والبقاعي، والطاهر بن عاشور.

ويجمع النوعين: جامع البيان للطبري، وفتح القدير للشوكاني، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا رحمهم الله أجمعين.

النوع الثالث: التفسير اللغوي: أي ما أرجع المفسر فيه تفسير اللفظة أو التركيب إلى اللغة، وقد يدْخلُ هذا النوعَ الاجتهادُ إذا كان أصلُ الكلمة اللغوي محتملاً.

هل وصف تفسير ما بوصف محدد ينفي وصفه بوصف مقابل، كأنْ نَصِفَ تفسيرًا بأنه تفسير بالمأثور، فهل يعني هذا أنه لا يوجد فيه تفسير بالرأي؟

الجواب: يظهر في هذه القاعدة المنهجية:

قاعدة (في مناهج المفسرين): كثير من كتب التفسير تتداخل الأوصاف فيها، ووصف كتابٍ في التفسير بوصفٍ معين لا يعني نفيَ صفاتٍ أخرى يتسم بها، بل يعني بروز هذه الصفة أكثر من غيرها:

وحصره في هذا الوصف يؤدي إلى ظلم التفسير والمفسِّر معًا.

فإن سألت: هلَّا ذكرت مثالًا يوضح هذه القاعدة؟

الجواب: مثال ذلك: إذا حصرت تفسير الطبري في التفسير بالمأثور، أو حصرت تفسير أبي حيان في التفسير النحوي فإنك تظلمهما؛ إذ يحويان غير ذلك من الفوائد العزيزة الغزيرة، فتفسير الطبري: تفسير بالمأثور، وهو تفسير لغوي، وهو تفسير بالرأي.

ومثل ذلك تفسير أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) عده مُحَمَّد حسين الذهبي (ت١٣٩٨هـ) في كتابه الماتع (التفسير والمفسرون) ضمن التفسير بالمأثور مع أنه كما ينقل ياقوت: التفسير الحاوي أنواع الفرائد من المعاني والإشارات، وكلمات أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات[1].

(١) معجم الأدباء (٢/ ٥٠٧).

الأساس التاسع: بين التفسير والتأويل:

جرى المفسرون على استخدام مصطلحين في بيانهم لمعاني القرآن الكريم: التفسير والتأويل، فلا بد من معرفة العلاقة بينهما:

ما تعريف التأويل؟

تعريف التأويل:

التأويل لغة: يرجع إلى معان ثلاثة:

١) أن يكون مأخوذًا من الأَوْلِ وهو الرجوع، فآل إليه أَوْلاً ومآلاً: رجع[١]، وفي الحديث: « لا صام ولا آل من صام الأبد»[٢] أي: ولا رجع إلى خير[٣]، وعلى هذا فمعنى: أَوَّلَ الكلام أي أرجعه إلى معناه الأصلي بتدبره، وتقدير معناه، وتفسيره كما قال الفيروز أبادي[٤].

والموئل هو الموضع الذي يرجع إليه ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨].

٢) أن يكون مأخوذًا من آل إيالة أي ساسه سياسة بما يصلحه[٥]، وقال ابن فارس: "وتقول العرب في أمثالها: "أُلْنَا وإيلَ عَلَيْنا" أَي سُسْنا وساسَنا غيرُنا"[٦]، وعلاقة الإيالة بالكلام كأن المؤول يسوي الكلام ويضع المعنى في موضعه ويصلحه[٧]، كالسائس (السياسي) يفترض أنه يقوم بالأفعال التي تصلح الرعية.

٣) أن يكون أصله من المآل وهو العاقبة والمصير، فإرجاع الكلمة إلى مآلها وعاقبتها (مرجعها) أي إلى معناها وتفسيرها، وهذا المعنى كالأول، فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني[٨].

إذا كان هذا معنى لفظ التأويل بأصل الوضع اللغوي، فما المراد بها في كلام أهل العلم؟

الجواب: إنك عندما تتدبر كلام أهل العلم تجد أن ما أوردناه في التعريف اللغوي هو معنى التأويل عند المتقدمين، وأنت عند جمعك لهذه المعاني المذكورة آنفًا لا تجد بينها كبير تنازع أو اختلاف، بل يكون معنى التأويل: سياسة الشيء بما يناسبه لإرجاعه إلى عاقبته ومصيره وغايته المرادة منه على نحوٍ ما سواء أوافق ظاهره أم خالفه، والغاية المرادة منه قد تكون علمًا، وقد تكون واقعًا:

---

(١) انظر: القاموس المحيط (٣/٥٢)، لسان العرب (٥/ ٥٥).

(٢) انظر: مسند إسحاق بن راهويه (٥/ ١٦٤)، قال محقق الكتاب:" في إسناده ليث بن أبي سليم، ترك حديثه لاختلاطه، وعدم تميز حديثه قبل الاختلاط من بعده"، وأخرجه أحمد (٢٧٦١٧) بلفظ:" لا صام من صام الأبد"، قال الأرناؤوط: مرفوعه صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث –وهو ابن أبي سليم– وشهر بن حوشب".

(٣) انظر: لسان العرب (١١/ ٣٢).

(٤) انظر: القاموس المحيط (٣/٥٢).

(٥) انظر: أساس البلاغة (ص: ١٤).

(٦) معجم مقاييس اللغة (١/١٦٠).

(٧) البرهان (٢/ ١٤٨)، ونقله الذهبي في التفسير والمفسرون (١/١٨).

(٨) البرهان (٢/ ١٤٨).

فأما التأويل في العلم، فنحو: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٧) على مذهب عطف (الراسخون) على لفظ الجلالة، والمعنى: وما يرجع ألفاظه إلى معانيها الصحيحة إلا الله.

وعند رجوعنا إلى المعاني اللغوية لكلمة (تأويل)، فيمكن أن نقول: إن التأويل: هو سياسة المعاني بإرجاعها إلى ما يصلح أن يدخلها في اللفظ القائم، فإن ان هذا الإرجاع مباشرًا فهو التفسير الاصطلاحي، وإن كان بمزيد استنباط فهو التأويل الاصطلاحي.

فالتأويل والتفسير على هذا متقاربان، وهذا ما عناه مجاهد رحمه الله في قوله: «﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾: يَعْلَمون تأويله»[(١)]، لأنه يكون بمعنى التفسير، وهو أيضًا ما يعنيه ابن جريرٍ الطبريُّ بقوله: «القول في تأويل قوله تعالى كذا»، فالتأويل بذلك يعني حقيقة الكلام اللفظية، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢] أي: تفسير ما لم تسطع عليه وحقيقته.

وأما التأويل في الواقع فكقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله﴾ (الأعراف:٥٣) أي: واقعه الحقيقي الذي آل إليه.

فالتأويل هو المصير الحقيقي للكلام والعاقبة التي يظهر منها تجسد المعنى، فهو نفس المراد بالكلام واقعًا:

فإن كان الكلام طلبًا كان تأويلُه نفسَ الفعل المطلوب، وإن كان خبرًا كان تأويله وقوع نفس الشيء المخبر به، وبين هذا المعنى والذي قبله فرق ظاهر، فالذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام، كالتفسير والشرح والإيضاح، وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة التي تحدث في الخارج، فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا هو نفس طلوعها، فالمراد هنا المصير في الواقع، وأما الأول فيراد به المصير في معنى اللفظ.

فإن قلت: هلَّا ضربت لنا مثالًا يوضح ذلك؟

مثال من كلام الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [هود: ١١٤]

تأويله على المعنى الأول: تستطيع أن تقول فيه: يأمرنا الله بأن نؤدي الصلاة قائمين بحقوقها، فنقيم أركانها وواجباتها ونلزم شروطها، ونأتي بها حقيقة وصورة.

تأويله على المعنى الثاني: أن تصلي أو أن تردد كلمات الإقامة لو كان الخطاب للمؤذن.

وهذا في نظر ابن تيمية هو لغة القرآن التي نزل بها. ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ...﴾ [الأعراف: ٥٣] أي: هل ينظرون إلا حقيقته المتجسدة وعاقبته الواقعية القادمة التي يصير إليها في المستقبل.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٢٤٩)، تفسير الطبري (٦/٢٠٣).

قاعدة: ترجع معاني التأويل في القرآن الكريم إلى الرجوع والحقيقة والكشف:

فالناظر في القرآن الكريم يجد أن لفظ التأويل قد ورد على معانٍ ترجع إلى المعاني اللغوية السابقة وليست على معانٍ مختلفة كما ذكر د/ مُحَمَّد حسين الذهبي ﷾، فمن ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران آية (٧): ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ فهو في هذه الآية بمعنى ابتغاء عاقبته ومآله بتفسيره وتعيينه وكشف المراد منه، وكذلك في بقية المواضع إلا أنه يراد به أحيانًا الحقيقة العامة للمعنى، وأحيانًا الحقيقة المنظورة للمعنى، وأحيانًا الحقيقة الكلامية للمعنى.

ما خلاصة الفرق بين التفسير والتأويل، والنسبة بينهما؟

بالغ بعضهم في الاهتمام بهذا المبحث حتى قال الحسن بن مُحَمَّد بن حبيب النيسابوري (ت ٤٠٦هـ) ﷺ: «نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه»[(١)]، وممن ألف في الفرق بينهما الشيخ حامد بن علي الدمشقيُّ العماديُّ (ت١١٧١هـ) ﷺ فله: "التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل"[(٢)]، ويظهر لي أنك ينبغي أن تنحاز بفكرك جانبًا عن الإيغال في مثل ذلك؛ إذ لا يعدو الفرق بينهما أن يكون مسألة نظريةً.

ومجمل استعمالات العلماء للعلاقة بين التفسير والتأويل ترجع إلى ثلاثة استعمالات:

أولاً: الترادف: وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير، ومثل ذلك ما نقله ابن منظور ﷺ عن بعض علماء العربية[(٣)]، وهو استعمال بعض المفسرين كالإمام الطبري ﷺ.

ثانيًا: العموم والخصوص: فالتفسير أعم؛ إذ هو الكشف عن المعاني المختلفة، وقد يتعلق الكشف بالبيان اللغوي، وقد تجد الكشف في الرواية المأثورة، وقد تجده في الاجتهاد التفصيلي، والتأويل أخص؛ إذ يتعلق بالدراية أو الاجتهاد أو البحث عن المعاني الدقيقة.

ثالثًا: التباين: فالتفسير ما يرجع إلى الرواية، أو إلى المعنى المباشر، والتأويل ما يرجع إلى الدراية، أو المعنى غير المباشر، والتأويل بالعلاقة الثانية والثالثة ثلاثة أنواع كما سبق.

ما سبب هذا الاختلاف؟

الجواب: سبب الاختلاف بينهم: اختلافهم في استعمال هذا المفهوم أو ذاك الاصطلاح من علمٍ إلى علم آخر أو من فنٍ إلى فنٍّ آخر، أو اختلاف استعمال ذاك المصطلح بين المتأخرين والمتقدمين...وفهم هذا يترتب عليه حلُّ إشكالات كثيرة، كما يترتب عليه استيعاب أساليب أهل العلم في التعبير...وقد وردت كلمة التأويل في اللغة بمعنى عام هو الرجوع، أو إرجاع الأمر

---

(١) الإتقان ٢/ ٤٠، وانظر: التفسير والمفسرون (١/ ٢١).

(٢) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (١/ ١٨٤).

(٣) انظر: لسان العرب (٥/ ٥٥).

وإصلاحه...ثم قصره الأصوليون على معنى معين، فبعضهم جعل التأويل بالمعنى العام التفسير، وبعضهم قصره على المعنى الاصطلاحي الخاص الذي ذكرنا بأنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام(١).

ما معنى التأويل عند المتأخرين؟ ومتى يمكن أن نرد هذا المعنى أو نقبله فيفهم لفظ من الألفاظ القرآنية؟

التأويل في اصطلاح المتأخرين:

هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليلٍ يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتحدثون عنه في التفسير أحيانًا، وفي أصول الفقه ومسائل الخلاف دائمًا:

فإذا قال أحدهم: هذا النص محمول على أن يكون معناه كذا، وذكر معنىً محددًا بعيدًا عن المعنى المباشر. قال الآخر: هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج إلى دليل، وعلى هذا فالمتأول مطالب بأمرين:

الأمر الأول: أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد.

الأمر الثاني: أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح:

فإذا بينه كان التأويل صحيحًا.

وإن كان اللفظ محتملاً للمعنيين، ولم يأت المؤول بالدليل صار تأويلاً فاسدًا.

فإن لم يأت بالأمرين معًا كان تلاعبًا بالنصوص.

اذكر مثالًا يوضح معنى التأويل عند المتأخرين.

مثال ذلك: كلمة الضحى:

يقول القائل بالظاهر: المراد بالضحى: الوقت ما بين الشروق إلى الزوال.

فيقول المؤول: بل المراد النهار كله.

فيقول القائل بالظاهر: ما الدليل على تأويلك؛ لأن الأصل معي، وإن كان تأويلك محتملاً.

فإن أتى بدليل صحيح، فهو التأويل الصحيح، وإن أتى بدليل يحتمل قوله، ولكنه غير مقبول عند النظر فتأويله فاسد.

فإن قال ثالث: المراد بالضحى الليل. فعند ذلك يقول الطرفان السابقان: هذا تلاعب.

اذكر أنواع التأويل عند المتأخرين.

التأويل عند هؤلاء –كما رأيت– ثلاثة أقسام:

– **صحيح**، إن كان الدليل صحيحًا بعد النظر والمقارنة، فهذا القسم هو القريب المقدَّم بأدنى نظر.

– **وفاسدٌ**، إن كان الدليل مظنونًا، ولم يصح بعد النظر والمقارنة عند الناظر.

– **ولعبٌ**، إن لم يوجد دليلٌ بل وضع المعنى للهوى والتشهي.

---

(١) انظر التفسير والمفسرون (١/ ٢١).

وقد قال السيوطي (ت٩١١هـ) في الكوكب الساطع في الأنواع الثلاثة:

الظاهـــر الـــدالُّ برجحـــانٍ، وإن يُحْـمَلْ علـى المرجـوحِ تأويـلٌ زُكِـن

صـحيحٌ إن كـان دليـلٌ، أو حُسِـب ففـاسدٌ، أو لا لشـيء فلعـب[1]

اذكر مثالًا لكل نوع من أنواع التأويل عند المتأخرين.

ومن أمثلة ذلك:

مثال التأويل الصحيح (القريب): قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ...﴾ [المائدة: ٦] أي: عزمتم على القيام إليها، والدليل أن هذا أسلوبٌ عربيٌّ معتاد حيث يستخدم الماضي في مثل هذه الأحوال ويراد به المستقبل.

ومثال التأويل الفاسد (البعيد) (عند المالكية لا عند الحنفية): ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]، أَوَّلَه بعضهم بالمُدِّ، فجعلوا (المُد) الذي لم يُذكر في الآية هو الأصل، و(المسكين) المذكور فيها غير مقصود، كما قال الشَّيْخ سيدي عَبْد اللهِ بْنِ الْحَاجّ إِبْرَاهِيْمَ الْعَلَوِيّ الشَّنْقِيْطِيّ (ت١٢٣٠هـ) ﷺ في مراقي السعود[2]:

فجعـــلُ مســـكين بمعـــنى المـــد عليـــه لائـــحٌ سمـــاتُ البعـــد

وإليك حوارًا في تأويل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠] بين أطراف ثلاثة، كل منها ينصر نوعًا من أنواع التأويل:

الطرف الأول (التأويل الصحيح) يقول: الربا كله محرم سواء أكان قليلاً أم كان كثيرًا.

الطرف الثاني: (التأويل الفاسد): الآية تدل على أن الربا فقط فيما كان أضعافًا مضاعفة في الورق النقدي، ويترتب على ذلك القول بعدم الربا في الأوراق النقدية إذا كانت النسبة الربوية محدودة، اعتمادًا على أنه نصَّ على الأضعاف المضاعفة في الآية.

الطرف الثالث (اللعب): لا ربا في الأوراق النقدية لا في القليل ولا في الكثير؛ لأن الأوراق النقدية لم تكن عند نزول الآية.

فيرد التأويل الصحيح، فيقول: أما أنت يا أيها الطرف الثالث، فتتلاعب بالآيات؛ فإن الربا الذي نزلت فيه الآية يتعلق بالثمنية، وكان الناس زمن النبي ﷺ يرابون بأن يأخذ الواحد مقابل قرضه زيادة مالية ربما كانت يسيرة، ثم يزيد حتى تصبح أضعافًا مضاعفة، ثم يزيد حتى يتملك المقترضَ أو أبناءه، فنفيك للربا في الأوراق النقدية لعب؛ فإنها أداة التبايع والمعاوضة.

---

(١) انظر: الكوكب الساطع (ص:٢٤١).

(٢) انظر: نثر الورود على مراقي السعود (١/ ٣٣٠).

ويرد على التأويل الفاسد فيقول له: قول الله ﷻ: ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ وصفٌ واقعي لا تأسيسي[(١)]، أي إن الله ﷻ وصف لهم مآلات الربا الجاهليّ عندهم، فيبدأ صغيرًا ثم ينمو حتى يصير أضعافًا مضاعفة، سواء أكان في الذهب أم فيما يقابله من الورق النقديّ حاليًّا؛ وحتى يبيع الإنسان نفسه وولده، وأنت ترى أن الدول التي تتعامل بذلك هذه الأيام أسيرة لهذه المعاملة المجرمة، وعند نظرك في تحريم الربا في القرآن الكريم تجد أنه حُرِّم لأصل وجود المراباة مهما قلت، فقد ذكره الله –تعالى مجده– في سورة الروم وهي مكية، فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]، ثم ذكره في آخر ما نزل في سورة البقرة، ونهى عن أخذ الربا مهما قلَّ فقال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

فاتضح لنا أن تأويل آية آل عمران بأن الربا لا يكون إلا في الأضعاف المضاعفة تأويل فاسدٌ؛ إذ إن آية آل عمران بين الروم والبقرة نزولاً.

ولنضرب مثلاً رابعًا: لعَلَمٍ شامخٍ من أعلام مفسري الدنيا هو الإمام الزمخشري ﷺ فقد افتعل التعارض بين آياتٍ، ولجأ فيها إلى تأويلٍ فاسدٍ، فقال تعليقًا على قوله –تعالى ذكره–: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]:

" فإن قلت: ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار؟ قلت: لا ختم ولا تغشية ثَمَّ على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز، ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل... فإن قلت: فلم أُسنِدَ الختمُ إلى الله تعالى، وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق، والتوصل إليه بطرقه، وهو قبيح، والله يتعالى عن فعل القبيح علوًا كبيرًا لعلمه بقبحه، وعلمه بغناه عنه، وقد نصَّ على تنزيه ذاته بقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل؟

قلتُ: القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها. وأما إسناد الختم إلى الله ﷻ، فَلِيُنَبِّه على أنّ هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخَلْقي غير العَرَضي. ألا ترى إلى قولهم: فلان مجبولٌ على كذا ومفطور عليه، يريدون أنه بليغ في الثبات عليه. وكيف يُتخيل ما خُيِّل إليك وقد وردت الآية ناعيةً على الكفار شناعةَ صفتهم وسماجة حالهم، ونيط بذلك الوعيد بعذابٍ عظيم؟"[(٢)].

نرد على هذا الإمام ﷺ بأن نقول: تأويلك فاسدٌ؛ إذ إن خَتْمَ الله على قلوبهم كان عقوبة على كفرهم ابتداء؛ فإن الله ﷻ وصفهم بالكفر في الآية السابقة. فهل أعمى التعصب المذهبي عينَ إمامٍ

(١) سيأتي بيان الفرق بين الوصف الواقعي والوصف التأسيسي لاحقًا في القسم الرابع من هذا الكتاب.

(٢) الكشاف (١/ ٤٩).

في اللغة والتفسير –كالزمخشري– حتى ضرب كتاب الله بعضه ببعضٍ، ثم التمس له مخرجًا من تأويله؟

ونعود، فنقول له: إن ختم الله ﷻ على قلوبهم إنما هي عقوبةٌ لأفعالهم؟ وهل عقوبة الله ﷻ لمن كفر وعاند مهما حُذِّر وأُنذِر تُعدُّ ظلمًا؟ ألم يبين الله ﷻ لماذا أضل هذا الصنف السيء بعد هذه الآية ببضع آيات؟ فقال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧]، وقال في السورة ذاتها: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [البقرة: ٨٨]؟.

اضرب مثالاً على اللعب في التأويل.

من أمثلة اللعب في التأويل:

أسند الثعلبي رحمه الله في تفسيره كلامًا مكذوبًا أسنده الكاذبون عن سفيان الثوري رحمه الله في قول الله سبحانه: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠] قال: فاطمة وعلي ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾[الرحمن:٢١] قال: الحسن والحسين، ثم قال الثعلبي: وروي هذا القول أيضا عن سعيد بن جبير رحمه الله، وقال: بَيْنَهُما بَرْزَخٌ مُحَمَّد ﷺ[1]، وأسند الثعلبي رحمه الله أيضًا عن ابن سيرين في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ﴾ [الفرقان: ٥٤]قال: نزلت في النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، زوَّج فاطمة عليًّا وهو ابن عمّه وزوَّج ابنته فكان نسبا وصهرًا[2].

فانظر إلى هذه الظلمات الحالكة، والأكاذيب التي يعلو بعضها بعضًا، وحسبك لتشعر برداءة هذا الكذب أن تعلم أن السورتين (الفرقان والرحمن) مكيتان، ولم يكن علي رضي الله عنه قد تزوج من فاطمة رضي الله عنها، فكيف يولد لهما ولد، وهل كان يحتج النبي ﷺ على وحدانية الله ورحمانيته أمام قريش بمثل هذا؟ وهذا التأويل المكذوب فرح به المطهر الحلي المتعصب الشيعي فنقله في كتابه منهاج الكرامة[3]، وفرح به المتعصبون الغلاة وأصحاب الأهواء السياسية، ولكن بعض الإثنا عشرية تبرأوا من هذا التفسير، ومنهم مُحَمَّد جواد مَغنية في تفسيره (الكاشف) في تفسير سورة (الرحمن)، فقال:

"نسب إلى الشيعه الإمامية أنهم يعتقدون بأن المراد بالبحرين علي وفاطمة، وبالبرزخ مُحَمَّد ﷺ، وباللؤلو والمرجان الحسن والحسين. وأنا بوصفي الشيعي الإمامي أنفي هذه العقيده عن الشيعه الإماميه على وجه الجزم والإطلاق، وأنهم يحرمون تفسير كتاب الله تفسيرًا باطنيًا، وإذا وجد فيهم من يقول بذلك فإنه لا يعبر إلا عن رأيه الخاص".

---

(١) تفسير الثعلبي (١٨٢/٩).

(٢) تفسير الثعلبي (١٤٢/٧).

(٣) ينظر: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، الحسن بن يوسف المطهر، المعروف بالحلي، تحقيق: عبد الرحيم مبارك (ص: ١٣٩).

وفي المقابل فمن تأويل اللعب ما أورده إسماعيل حقي الإستانبولي الحنفي (ت ١١٢٧هـ) في تفسيره روح البيان في تفسير سورة الحاقة عند قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] حيث قال: "قال بعض العلماء: الأربعة اللاحقة إشارة إلى الأئمة الأربعة الذين هم أبو حنيفة والشافعي ومالك وأحمد؛ لأنهم اليوم حملة الشرع، فإذا كان يوم القيامة انقلب الشرع العرش فيكونون من حملته حُكمًا"، فانظر لهذا اللعب الرديء، والرجم بالغيب(١).

ومن اللعب: تأويل طغاة (الليبراليين) -الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا في هذه الأيام- الأحكام الشرعية الثابتة بأنها مجرد أحكامٍ تاريخية لا حاجة للعمل بها في واقعنا، وهذه من طوام القراءات الحداثية المعاصرة كالتاريخانية وأخواتها، وكثيرًا ما تجد هؤلاء يتشدقون بالحرية، وعندما يتمكنون تجدهم أتعس الناس في عسفهم وظلمهم وإرهابهم الفكري والمادي.

معنى أخص للتأويل:

مما أشار إليه العلامة الآلوسي رحمه الله، أن التأويل كذلك اجتهاد يفتح الله له قلب عبدٍ في فهم آية فقال: "إن كان المراد الفرق بينهما بحسب العرف اليوم؛ إذ قد تعورف من غير نكير: أن التأويل إشارة قدسية، ومعارف سبحانية، تنكشف من سُجُف -ستائر- العبارات للسالكين، وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين. والتفسير غير ذلك" وهو يقصد بذلك أن التأويل: ظهور معنى من خلال الاجتهاد، فيفتح الله لعبدٍ من عباده في فهم آيةٍ من الآيات باجتهاده.

ثم قال: "وإن كان المراد الفرق بينهما بحسب ما يدل عليه اللفظ مطابقة، فلا أظنك في مريةٍ من رد هذه الأقوال، أو بوجه ما فلا أراك ترضى إلا أن في كل كشف إرجاعًا، وفي كل إرجاع كشفًا، فافهم"(٢) يعني أن التفسير هو الكشف، والتأويل هو الإرجاع، وهما متقاربان، وواضح أن التأويل هنا اكتسب معنى مقاربًا من التفسير الإشاري الذي يكثر في تفاسير الصوفية، بل إن شئت قلت: هو هو، ولا ريب أن الكلام في قبول هذا النوع ورده يختلف كثيرًا عما سقناه آنفًا من صنيع الشيعة في تلاعبهم بالنص القرآني وتأويله.

زيادة إيضاح في بيان دلالات الألفاظ:

ما مراتب دلالات الألفاظ المتعلقة بالبيان القرآني؟

(١) ينظر: روح البيان (١٠/١٣٩).

(٢) روح المعاني (١/ ٥).

الله ﷻ قرر في القرآن الكريم أنه مبينٌ أي بلفظه ومعناه، فيتصور بعض الناس أن ذلك يعني أن كل الناس يفهمونه بمرتبة واحدة، وهذا جهل عظيمٌ، فإن اللفظة الواحدة في اللغة العربية، ومثلها التركيب اللغوي يتفاوت الناس في إدراك معانيه، ولذا لا بد لنا من بيان مجمل لأقسام دلالات الألفاظ، فقد نظر اللغويون والمفسرون والفقهاء والأصوليون إلى ألفاظ النصوص القرآنية (والنبوية كذلك)، وتأملوا في عدة مراتب تتعلق بالبيان القرآني:

المرتبة الأولى: قراءة اللفظة القرآنية كما أراد الله ﷻ، ومثل ذلك التركيب للكلمات القرآنية، فأنت تقرأ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢]، ولا تقرأها "ألف لام ميم يجعل".

المرتبة الثانية: معرفة معنى المفردة القرآنية، فكلمة ﴿ألم﴾ في الآية السابقة في سورة الفيل سؤالٌ مقترن بالنفي، وجوابه: بلى، ومثله معرفة معنى تركيب المفردات (الجملة).

المرتبة الثالثة: أن يحاول معرفة الدلالات القريبة والبعيدة للفظة القرآنية الواحدة، وللتركيب القرآني حال وجود أكثر من دلالة.

فلا بد من معرفة المعاني المتعددة للفظة القرآنية، وللتركيب القرآني، وما مدى قرب هذه المعاني وبعدها من ألفاظها، فهل هي متساوية في القرب، أم أحدها والآخر بعيد؟ وذلك مثل قول الله ﷻ

﴿قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١]؛ إذ تعني: القناص، والأسد، والنبل، فلا بد من تحليل الموقف هاهنا للنظر في مدى قرب هذه المعاني من اللفظة والسياق.

واللفظة القرآنية قد يظهر معناها للسامع والقارئ بمجرد سماعها أو قراءتها، وقد يكون لها مجموعة معانٍ انبثقت من نصٍّ واحد أو لفظة واحدة.

ما أقسام دلالات الألفاظ؟

أقسام دلالات الألفاظ:

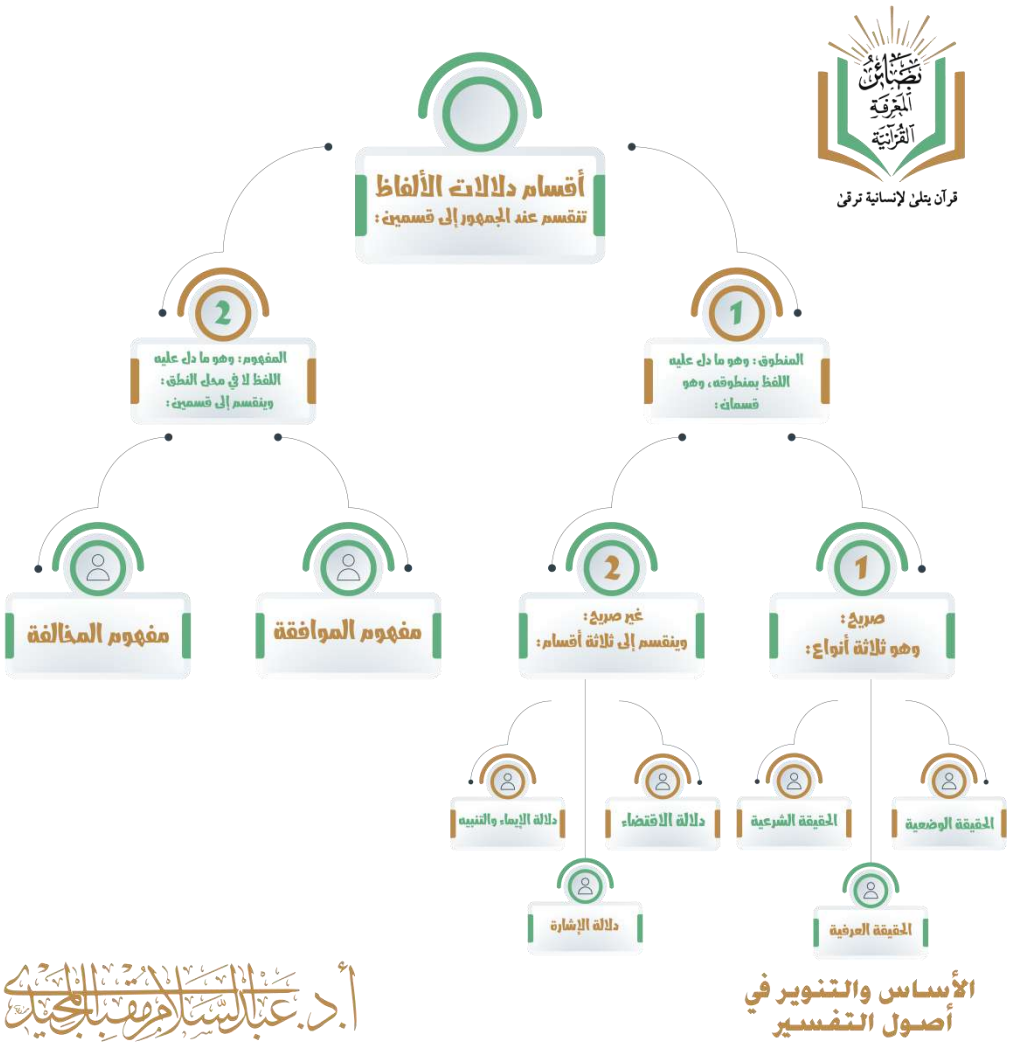

تنقسم دلالات الألفاظ القرآنية عند الجمهور إلى قسمين: (منطوق، مفهوم)

أولاً: المنطوق: وهو ما دل عليه اللفظ بمنطوقه، وهو قسمان:

١) صريح: وهو ثلاثة أنواع (الحقيقة الوضعية والحقيقة الشرعية والحقيقة العرفية).

٢) غير صريح: وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ) دلالة الاقتضاء: وهي دلالة اللفظ على محذوف لا يستقيم الكلام بدونه، ويسمى (المقتضى).

ب) دلالة الإيماء والتنبيه: وهي أن يُقرن الحكم بوصفٍ لو لم يكن ذلك الوصف هو العلة لكان الكلام معيبًا، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

ج) دلالة الإشارة: وهي دلالة اللفظ على معنى غير مقصود أصالة بل تبعًا، كأخذهم أقل مدة للحمل من آيتي: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤].

ثانيًا: المفهوم: وهو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، كتحريم الضرب للوالدين، وينقسم المفهوم إلى قسمين: مفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة.

دلالات الألفاظ حسب الظهور والخفاء:

ما أقسام دلالات الألفاظ من حيث الظهور والخفاء؟

في مدى ظهور تلك المعاني من اللفظة أو من التركيب قسَّم علماؤنا الخطاب القرآني إلى قسمين:

القسم الأول: واضح الدلالة، وهو ثلاثة أنواع عند الجمهور:

المرتبة العليا: النص: وهو ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، أو ما دل على معناه دلالة قطعية، كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].

المرتبة الثانية: الظاهر:

وهو ما احتمل معنيين أو أكثر، لكنه راجحٌ في واحدٍ منها بصورةٍ بينة، ومن أهم القواعد التفسيرية: الأصل حمل الكلام على معناه الظاهر، وسيأتي مزيد لهذه القاعدة المهمة.

ومثال ذلك: قوله -تعالى جَدُّه-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]؛ ما المراد من كلمة ﴿الذكر﴾ ها هنا؟

فزعم بعض الطاعنين في القرآن أن المراد بالذكر هاهنا: التوراة، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

فنجيبه، ونقول له: كلمة ﴿الذكر﴾ هنا في سورة الحجر تدخل ضمن قسم (الظاهر) من دلالات اللفظ، ولا تدخل ضمن (النص)، فيمكن أن يراد بالذكر: التوراة، ويمكن القرآن، ويمكن أن يراد أن يذكر المرء ربه في قلبه، ويمكن أن يراد أن يذكر المرء ربه بلسانه، ولكن المعنى المقصود في هذه الآية: القرآن المجيد؛ لأنه ظاهرٌ بدلالة السياق الواضحة، إذ تجد ربك عزَّ جاره يقول: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١] ثم قال بعد ذلك: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، فصار كالنص في أن المراد بالآية التاسعة من سورة "الحِجْر": القرآن المجيد.

المرتبة الثالثة: المؤول، ويقابل الظاهر، هو اللفظ المحمول على الاحتمال المرجوح، وهو الذي تمت الإشارة إلى أقسامه الثلاثة.

القسم الثاني: غير واضح الدلالة:

وهو نوعان عند الجمهور(١):

الأول: المجمل: وهو اللفظ الذي لا يُفهم المراد منه بنفسه، فيحتمل معنيين فأكثر لا مزية لأحدها على الآخر: كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧] فإنه متردد بين الولي والزوجة، وكقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ﴾ [البقرة:٢٢٨]؛ فإنه يحتمل الأطهار والحِيَض.

الثاني: المتشابه: وهو اللفظ الذي لا يُفهَم المراد منه بنفس صيغته، واستأثر الله تعالى بعلمه، مثل تفاصيل الأمور الغيبية.

---

(١) أما علماء الحنفية فقسموا اللفظ إلى واضح الدلالة وخفي الدلالة، وقسموا واضح الدلالة أربعة أقسام رتبوها من الأدنى وضوحًا إلى الأعلى على النحو الآتي: ١. الظاهر، ٢. النص، ٣. المفسر، ٤. المحكم.

وقسموا خفي الدلالة أربعة أقسام رتبوها من الأقل خفاء إلى الأكثر على النحو الآتي: ١. الخفي، ٢. المشكل، ٣. المجمل، ٤. المتشابه. يراجع مثلاً: أصول الفقه الذي لا يسع جهله (ص:٣٩٠).

الأساس العاشر: مراتب التفسير:

ما المراتب العامة للتفسير؟

يمكن تقسيم المراتب العامة للتفسير إلى ثلاث مراتب كالآتي:

المرتبة الأولى: أن يكون التفسير تفسير وسيلة (آلة):

وهو الذي يتكلم فيه المفسرون على حلِّ الألفاظ والجمل، والنِّكات البلاغية، وكذلك ينقلون ما ورد من روايات متعلقة بهذا الموضع، ويذكرون في هذا التفسير الحكم الفقهي المحض المستنبط بصورةٍ مباشرة، وهذا النوع مطلوبٌ طلبًا واجبًا؛ إذ هو بوابة النوع اللاحق.

المرتبة الثانية: أن يكون التفسير تحقيقًا للمعنى:

ويتم ذلك بفهم حقائق الألفاظ المفردة، والتراكيب ذات الألفاظ المتعددة التي أُودِعها القرآن، بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة، غير مكتف بقول فلان، وفهم فلان[1]، فيحقق المفسِّرُ المرادَ من الآية عند ضرورة الترجيح أو جواز الجمع، ويعتضد بقواعد التفسير المختلفة، ويحاول أن يصل بالتوفيق الإلهي إلى الجمع بين قاعدة السياق الموضعي والسياق

(١) انظر: تفسير القاسمي (محاسن التأويل) (١/ ٢٠٥)، ويظهر أن السيد رشيد رضا نقل هذا الكلام عنه في أول المنار دون عزو.

التاريخي، ويجمع أيضًا بين المواضع المختلفة في القرآن الكريم لمحاولة استخلاص المعنى المقصود، وينظر في عموم اللفظ وخصوصه.

المرتبة الثالثة: أن يكون التفسير تفسير الغاية، ويمكن أن يسمى التفسير المقاصدي:

وهو المقصود من المرتبتين السابقتين، فهو تفسير الهداية، بأن يبين وجه الهدايات الجزئية والكلية في الآية، ويُظهِرَ المقاصدَ والبصائرَ التي تبني الحياة الإنسانية، سواء انبثقت عن الآية أم عن بيئتها القرآنية، ويُضَمِّنَ ذلك ما يُشرِبُ القلبَ عظمةَ الله تعالى وتنزيهه، ويصرفُ النفس عن الشرّ ويجذبها إلى الخير.

في أي المواضع أشير في القرآن الكريم إلى مراتب التفسير الثلاثة؟

ذكر الله –جل مجده– **تفسيرَ الوسيلة** فقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

وأشار إلى المرتبة الوسيطة في قوله: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء ٧٨] مع قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢].

وذكر تفسير الغاية فقال –تعالى جده–: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، أي: متعظ خائف[١]، فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يَسَّر الله حفظه ومعناه؟، وقال مُحَمَّد بن كعب القرظي: فهل من منزجر عن المعاصي؟[٢].

ففي سورة الفرقان ذَكَر الله –تعالى جده– التفسيرَ وفي سورة القمر ذكر الغاية من التفسير، وهي الذكر والتذكير.وبذلك يستبين ما جاء في البيان الإلهي الخاتم المهيمن من اللمسات الإعجازية التربوية والتزكوية الفردية والجماعية التي تربط العالم بالنور الإلهي «على وجهٍ يجتذب الأرواح، ويفتح القلوب، ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدى الله»[٣]، ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

كيف يمكن لنا أن نصل إلى تحقيق هذه المراتب الثلاث؟

لا يمكن لنا أن نصل إلى ذلك إلا من خلال الأول دون إغراق أو تفريط...فالأول موصلٌ للثاني وخادمٌ له... والمعيب أن يُغرِق المفسر في المرتبة الأولى حتى ينسى ما بعدها، أو أن يقفز إلى المرتبة الأخيرة مهملاً الأولى متلاعبًا بها.

وهنا تعجب من بعض المفسرين –رحمهم الله– إذ يستفرغون الوسع في علم الآلة عند الكلام عن تفسير آية محددة، ثم لا تجد الحظ نفسه في تفسير الغاية، وخذ مثالاً لذلك قوله تعالى ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]لقد أتعبوا أنفسهم –رحمهم الله– في بيان جواز هذا التعبير ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ فقالوا: أيْ: مُنْقَادِينَ، وهو

---

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ١٣٣).

(٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٧/ ٤٧٨).

(٣) مناهل العرفان (٢/ ٦).

خَبَرٌ عَنِ الأَعْنَاقِ، وقَدِ اكْتَسَبَتِ التَّذْكِيرَ وصِفَةَ العُقَلاءِ مِنَ المضافِ إِلَيْهِ، فَأُخْبِرَ عَنْها لِذَلِكَ بِجَمْعِ مَن يَعْقِلُ[(١)].

ثم حاولوا أن يستشهدوا على ذلك بالشواهد المختلفة، حتى إذا انتهيت من مبحث تفسير الآلة هنا لتصل إلى الهدايات المنيرة، والبصائر المعجزة تجدهم تركوها.. فأي المرتبتين كان أولى أن يجتهد المرء في بيانها أو إعطائها حقها من تبيانه وبرهانه؟

في المقابل نجد بعض المفسرين يهيم وراء تفسير الغاية هيامًا محبوبًا مؤثرًا حتى لو خرج عما يسميه المؤصلون للتفسير (منهج علم التفسير)، فها هو الشوكاني ﵀ على سبيل المثال إذا وقف متأثرًا عند تفسير آيةٍ أردفها بكلامٍ يفيد بيانَ وجه الهداية فيها، ومن ذلك أنه بعد تفسير قوله تعالى ذكره: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨] قال:

"ربَّنا: هذه نواصينا بيدك، خاضعةٌ لعظيم نعمك، معترفةٌ بالعجز عن بادية الشكر لشيءٍ منها، لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، ولا نطيق التعبير بالشكر لك: فتجاوز عنا، واغفر لنا، وأسبل ذيول سترك على عوراتنا، فإنك إلا تفعل ذلك نهلك بمجرد التقصير في شكر نعمك، فكيف بما قد فَرَطَ منا من التساهل في الائتمار بأوامرك، والانتهاء عن مناهيك"[(٢)].

ولتجدنَّ ثروة إيمانية زاخرة في هذا الباب إن أنت راجعت ما يكثر من ترديده الرازي وغيره من المفسرين –رحمهم الله– عند تأثرهم بالآيات، وفي ذلك أثنى السيد رشيد رضا ﵀ في مجلة المنار عدد صفر١٣٢٧هـ على منهج الشيخ عبد الحميد الفراهي في تفسيره فقال: "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر، فإذا أسلوب جديد من التفسير، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هدايةٌ إلهية دون المباحث الفنية العربية"[(٣)].

ملحوظة: سمى الزرقاني ﵀ تفسير الوسيلة تفسيرًا جافًا[(٤)]، والتعبير بالجفاف قد يفهم منه أن يمكن لنا أن ننبذ هذا التفسير أو أو نتركه، وهو ما لا يقول به الزرقاني ﵀ ولا غيره من أئمة العلم رحمهم الله تعالى بل المراد بذلك: أن من يكتفي بالمرتبة الأولى فهو كمن اكتفى بالخطوة الأولى من فهم المعنى فقط، ولم يصل إلى تنقيح المعنى وتحقيقه، ولم يصل إلى الهدايات المترتبة على ذلك، وهي التي تسهم في أن يتحقق مريد التفسير في الوصول إلى مرتبة المتقين.

---

(١) ينظر: روح المعاني (١٩/٥٩).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٢٠).

(٣) تفسير نظام القرآن وتفسير الفرقان بالفرقان: سورة البقرة، المقدمة، (ص:٤).

(٤) ينظر: مناهل العرفان (٢/٦).

أسئلة تقويمية:

س١: ما تعريف (التفسير) لغة واصطلاحًا؟

س٢: ما موضوع علم التفسير؟

س٣: عرف القرآن الكريم لغة واصطلاحًا.

س٤: ما الفرق بين التواتر القرآني والتواتر القرائي والتواتر الحديثي؟

س٥: ما حكم تعلم علم التفسير؟

س٦: قسم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا التفسير إلى أربعة أقسام، اذكرها، واذكر مثالًا لكل قسم.

س٧: ما غاية علم التفسير؟

س٨: ما مراتب هدايات القرآن الكريم؟

س٩: عدد صور تفسير القرآن في عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. وعزز ذلك بذكر مثال لكل صورة.

س١٠: ما المصطلحات التي برزت لتشير إلى علم التفسير في القرون الأولى؟

س١١: اذكر المزايا التي تدل على شرف علم التفسير.

س١٢: ما الجهات الثلاث التي ذكرها الراغب الأصبهاني رحمه الله في شرف علم التفسير؟

س١٣: اذكر بعض الأمثلة التي تدل على اهتمام السلف بعلم التفسير.

س١٤: إذا كان القرآن نزل بلسان عربي مبين، فلماذا نحتاج إلى التفسير إذن؟

س١٥: ما أنواع التفسير باعتبار محتوى التفسير ومضمونه؟

س١٦: ما أنواع التفسير باعتبار الأسلوب؟

س١٧: ما الهدف من التفسير الموضوعي؟

س١٨: ما أبرز التفاسير التي تعنى بالتفسير الموضوعي أو بجانب من جوانبه؟

س١٩: ما أنواع التفسير باعتبار مصدر التفسير؟

س٢٠: عرف التأويل لغة واصطلاحًا.

س٢١: ما خلاصة الفرق بين التفسير والتأويل، والنسبة بينهما؟

س٢٢: ما معنى التأويل عند المتأخرين؟ واذكر مثالًا على ذلك.

س٢٣: اذكر أنواع التأويل عند المتأخرين. واذكر مثالًا على كل نوع.

س٢٤: ما مراتب دلالات الألفاظ المتعلقة بالبيان القرآني؟

س٢٥: ما أقسام دلالات الألفاظ عند الجمهور؟

س٢٦: ما أقسام دلالات الألفاظ من حيث الظهور والخفاء؟

س٢٧: ما المراتب العامة للتفسير؟

س٢٨: ما رأيك بتسمية الزرقاني رحمه الله لتفسير الوسيلة بالتفسير الجاف؟